كيلان خضير العزاوي

الأصنام والأوثان والأنصاب في القرآن الكريم



الأصنام والأوثان و الأنصاب
في القرآن الكريم

اسم الكتاب : الأصنام والأوثان والأنصاب
في القرآن الكريم
تأليف : كيلان خضير العزاوي
ترجمة وشروح : مؤمل مجيد
القياس : 17 × 24
عدد الصفحات : 168
الطبعة الأولى :2013 م

رقم الايداع : 1976 لسنة 2013 م



الأصنام والأوثان والأنصاب

في القرآن الكريم

تأليف

كيلان خضير العزاوي



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا
قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ
١٦١ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠
أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٦٣ ﴾

الأنعام: ١٦١ – ١٦٣


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من قال فيه الملك الجليل تعالت قدرته :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤

- **رسول السلام**
- **شفيع الأنام**
- **عظيم البركات**
- **رفيع الدرجات**

أرفع هذا الكتاب

المؤلف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العزيز الوهاب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالحكمة والكتاب ، الهادي للحق والصواب ، وعلى آله وصحبه أولي النهى والألباب ، أما بعد :

فقد تمرغت الإنسانية اليوم بأوحال الجاهلية ، فبات شخوصها يقدسون الحجارة ، ينحتونها أصناماً ، ويتخذونها أرباباً من دون الله ، متضرعين إليها أن تقبل توسلاتهم لتقربهم إلى الله زلفى ، ناسين أو متناسين ، أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر ، ولا تعطي ولا تمنع ، وما هي إلا حجارة صماء لا حول لها ولا قوة . قال الله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾يونس: ١٨.

ولقد دلنا التاريخ أن كثيراً من عبدة الأصنام يصطدمون بحقيقتها ، فينكرونها ، بل يتطاولون عليها لأنها لم تحقق لهم شيئاً مما كانوا يرجونه منها ، وإذا كان الإسلام قد قضى على كل مظاهر الشرك في الجاهلية وعفى على آثارها وأزالها من الوجود وهذا ما حصل فعلاً لأن المسلمين الأوائل قد امتلكوا عقيدة سليمة يقوم عليها الدين ، وتصلح معها الأعمال ، قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾الكهف: ١١٠ .

إن ضعف الوازع الديني عند المسلمين اليوم دفعهم إلى الإنحراف والإنزلاق في مهاوي الردى ، يموجون في جاهلية جديدة هي أشد وطأةً وأكثر دماراً من الجاهلية الأولى ، ولم يعد الصنم هو المعبود الوحيد ، بل راحوا يعبدون كل ما يملي عليهم الشيطان ويزينه لهم .

إن هدفنا من هذا الكتاب ، هو بيان أن عباد الأصنام ، لا يعبدون الأصنام حقيقة أو لذاتها ، وإنما هم يعبدون الشيطان لأنهم اتبعوا الهوى ، وكل من اتبع هواه ، فقد اتبع الشيطان ، وبالتالي فإن عبادته للصنم إنما هي عبادة للشيطان ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾يس: ٦٠

لقد اشتمل كتابنا هذا على (١٥) مبحثاً انتظمت في سبعة فصول هي :

الفصل الأول :التعريف بالشرك وبيان أسبابه وأنواعه وأصناف المشركين

الفصل الثاني :التعريف بالأصنام والأوثان والأنصاب

الفصل الثالث :إنتشار عبادة الأصنام في بقاع الأرض .

الفصل الرابع :أسماء الأصنام وهيئاتها وأماكن تواجدها

الفصل الخامس :بيوت الأصنام

الفصل السادس :الشعائر الدينية .

الفصل السابع : صناعة التماثيل في زمن النبي سليمان عليه السلام .

وختمنا الكتاب بخلاصة لأهم ما توصلنا إليه ، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي أعتمدت في تأليف هذا الكتاب ، وقائمة بالمحتويات .

ويقتضي منا الإشارة لثلاثة من المصادر والمراجع كان لها الفضل الكبير في إنجاز هذا العمل ، وخروجه بهذا الشكل ، أولها كتاب (**الأصنام**) لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفي سنة ٢٠٤ هـ . ثانيها : كتاب (**أخبار مكة**)لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي المتوفي سنة ٢٢٣ هـ وثالثها كتاب (**المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**) للدكتور جواد علي .

ولا ننسى جهود الأخوين الفاضلين خالد النعيمي وضياء البدري عضوي الهيئة الإدارية لجمعية التربية الإسلامية ببغداد، فقد تجشما مراجعة مسودات

الكتاب، وصوبا ما أقتضى تصويبه ، فلهما منا خالص الشكر والعرفان على ما بذلاه ، ونسأل الله العلي القدير أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهما إنه سميع مجيب

وفي الختام نأمل من الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يمن على من يقرأه بالإنتفاع به ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾الأنعام: ١٦٢ وأن يشملنا بقوله : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾الكهف: ٣٠وأن نكون فيمن قال فيهم الرسول الكريم ﷺ: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كيلان خضير العزاوي

بغداد

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

الفصل الأول

التعريف بالشرك

وبيان أسبابه

وأصناف المشركين

الفصل الأول

التعريفبالشركوبيان أسبابه

وأصناف المشركين

الشرك في اللغة والإصطلاح :

يقول إبن فارس[١] : الشرك معناه : أن يكون الشيء بين أثنين لا ينفرد به أحدهما ، يقال شاركت فلاناً في الشيء إذا صرت شريكه ، وأشركت فلان إذا جعلته شريكاً لك ، ومنه قوله تعالى في قصة موسى مع أخيه هارون : ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾طه: ٣٢

أما الشرك في إصطلاح الشرع : فهو أن تجعل لله شريكاً فيإلوهيتهوملكه ، قال تعالى حكاية عن عبده لقمان وهو يعظ إبنه : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾لقمان: ١٣ ومعنى لا تشرك بالله أي لا تعدل به غيره فتجعله شريكاً له ، ومن عدل به شيئاً من خلقه فهو كافر مشرك لأن الله وحده لا شريك له ولا ند له ولا نديد[٢]

حقيقة الشرك:

والغالب في الشرك الإشراك في الإلوهية بأن يدعو مع الله تعالى غيره ، أو يصرف له شيئاً من أنواع العبادة ، كالذبح والنذور والخوف والرجاء والمحبة ، وغير ذلك كثير

---

١. ابن فارس : معجم مقاييس ص ٥٣٥ .

٢. ابن منظور : لسان العرب مادة (شرك) ٤٤٩/١٠ .

والشرك بالله من أعظم الذنوب لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلوهية فمن أشرك بالله أحداً فقد شبهه به ، لذلك لم يعذر الله تعالى هؤلاء المشركين بل أحل دمائهم وأموالهم ، قال تعالى : ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ التوبة: ٥ وكذلك لم يعذرهم النبي ﷺ حيث قال[١]: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله)

ومعنى (لا إله إلا الله) أي لا معبود بحق إلا الله ، وهي تنفي الإلوهية بحق عن غير الله وتثبتها بالحق لله وحده ، يقول ابن قيم الجوزية في معنى (لا إله إلا الله) وهو يوضح حقيقة التوحيد[٢] :

(والنفي وحده ليس توحيداً – أي قولنا (لا إله) وكذلك الإثبات بدون النفي أي قولنا (إلا الله) وعليه فلا يكون التوحيد توحيداً حقاً إلا إذا تضمن النفي والإثبات معاً ، وهذه هي حقيقة التوحيد).

أسباب الشرك :

وللشرك أسبابه الكثيرة ، يأتي في مقدمتها وأهمها وأخطرها الغلو بأهل العلم والصلاح ، فمن هم أهل العلم والصلاح ؟ ولماذا ارتبط بهم الغلو ؟ ولماذا صار مدخلاً من مداخل الشرك المحرمة ؟

الغلو في اللغة يدل على ارتفاع ومجاوزة الحد ، يقال غلا السعر يغلو غلاءً إذا ارتفع ، وغلا الرجل في الأمر غلواً إذا جاوز حده فالغلو على هذا الزيادة والإرتفاع عن الحد المعروف[٣]

---

١. شرح صحيح مسلم للنووي : ١٨٧/١ رقم الحديث (٢١) .

٢. الشيخ عبد الرحمن حسن آل الشيخ : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٢٥

٣. ابن فارس : المصدر السابق ص ٧٧٣

أما في الشرع فالغلو هو الزيادة في رفع شخص فوق منزلته اللائقة كالزيادة في حق الأنبياء أو الصالحين ، ورفعهم عن قدرهم إلى الربوبية أو الإلوهية[1]

والعرب قبل الإسلام غلوا في الأشخاص حتى رفعوهم على قدرهم إلى أن جعلوهم أرباباً مع الله ، كما غلا اليهود في عزير حيث قالوا : هو ابن الله ، وكما غلت النصارى في عيسى عليه السلام ورفعوه من البشرية إلى الإلوهية وقالوا هو ابن الله ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾التوبة: ٣٠ . كما قالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وهذا ما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ المائدة: ١٨. وكذلك قوم نوح عليه السلام غلوا في الصالحين وصوروا صورهم وتماثيلهم ثم عبدوهم من دون الله فرفعوهم إلى رتبة الألوهية ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾نوح: ٢٣.

وقد سرى ذلك على طوائف كثيرة من الناس وإلى يومنا هذا ، حيث غلوا بالصالحين ، يرفعونهم مقامات كبيرة جرّتهم إلى الشرك بالله تعالى ، ولهذا قال النبي ﷺ فيهم[2] : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله) .

يقول شارح مسائل الجاهلية[3] (والغلو في الأشخاص من الأنبياء والصالحين هو الذي أوقع المشركين من الكتابيين والأميين في الشرك الأكبر ، والواجب أن يعرف الأشخاص قدرهم اللائق بهم ، فيعرف للرسل رسالاتهم ،

---

1. الشيخ محمد بن عبد الوهاب : مسائل الجاهلية ، شرح الشيخ الدكتور صالح الفوزان ص ٥٧ .
2. ابن حجر : المصدر السابق ٤٧٨/٦ رقم الحديث (٣٤٤٥) .
3. الشيخ محمد بن عبد الوهاب : المصدر السابق ص ٥٨ .

وللصالحين صلاحهم ، ويعرف للعلماء علمهم ، وأنهم أفضل من غيرهم ، ففضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وينزلونهم منازلهم ولا يرفعون فوق منازلهم) ، قال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ المائدة: ٧٧ ، وفي الحديث(١) : (إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)

أنواع الشرك:

الأول : شرك في الإلوهية وهو الغالب على أهل الإشراك ويتضمن عبادة الأصنام والملائكة والجن والكواكب والأشجار والحيوان والطير والمشايخ والصالحين الأحياء والأموات وغيرهم ، والكتب السماوية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وترده ، وتقبح أهله وتنص على أنهم أعداء الله وأعداء جميع الرسل والأنبياء ، وما أهلك الله ما أهلك من الأمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله .

فخلقه وأمره وما فطر عليه عباده وركب فيهم من العقول شاهداً بأنه الله الذي لا إله إلا هو وأن كل معبود سواه باطل وأنه هو الحق المبين(٢) والأدلة الدالة على أنه تعالى يجب أن يكون وحده هو المألوه تبطل هذا الشرك وتدحض حجج أهله ، وهي أكثر من أن يحيط بها إلا الله تعالى ، بل كل ما خلقه الله تعالى فهو آية شاهدة بتوحيده ، وكذلك كل ما أمر به .

الثاني : الشرك في الربوبية كشرك من جعل مع الله خالقاً آخر كالمجوس وغيرهم من الذين يقولون أن للعالم ربَّان لذلك قال فيهم ابن قيم

---

١. النسائي : السنن ٢٩٦/٥ رقم الحديث (٣٠٥٧) .

٢. المقريزي : تجريد التوحيد المفيد ص ٤٧ .

الجوزية[1]: (وكفر المجوس أغلظ ، وعباد الأصنام كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وأنه لا خالق إلا الله ، وأنهم يعبدون آلهتهم لتقربهم إلى الله ﷻولم يكونوا يقرون بوجود صانعين للعالم أحدهما خالق للخير ، والآخر خالق للشر كما تقوله المجوس) .

وهكذا كان شرك المجوس وأضرابهم أخبث شرك إذ يتضمن تعطيل وجحود إلهية وربوبية الله تعالى .

والقرآن الكريم ، بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها صرحت بالرد على أهل الإشراك كقوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾الفاتحة: ٥ وهذه الآية تنفي شرك الإلوهية وكذلك تنفي شرك الربوبية ، فهي جردت التوحيد لرب العالمين في العبادة وأنه لا يجوز إشراك غيره معه لا في الأفعال ولا في الألفاظ ولا في الإرادات[2]

مصطلحات لها دلالات شركية :

كما واستخدم القرآن الكريم مصطلحات عديدة لها دلالات شركية عبرت عن عقائد العرب قبل الإسلام ، ومن هذه المصطلحات الشركية ، مصطلح (الشركاء) جمع شريك ، كما في قوله تعالى :﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ الأعراف: ١٩١ ومن المصطلحات الشركية (الأنداد) جمع ند ، كما في قوله تعالى :﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾البقرة: ١٦٥. ومن مصطلحاتهم الشركية (الأولياء) جمع ولي ، كما في قوله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾الزمر: ٣. ومن المصطلحات الشركية (الشفعاء) جمع شفيع ، كما في قوله تعالى :﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ﴾الزمر: ٤٣.

---

[1]. ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدي خير العباد ٢٢٤/٣

[2]. المقريزي : المصدر السابق ص ١٥

أن الذي يهمنا من كل هذه العبادات الشركية المتنوعة هو إتخاذ المشركين الأصنام آلهة يعبدونها من دون الله ، وقد بين القرآن الكريم فلسفتهم في عبادة الأصنام كما في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾الزمر: ٣ . فالقوم يتخذون من عبادة الأصنام وسيلة والغاية منها التقرب إلى الله تعالى بواسطتها .

أصناف المشركين :

كان عامة العرب قبل المبعث النبوي الشريف على ديانة الشرك بمختلف أنواعها إلا من رحمه الله تعالى ، وقد رصد المشتغلون في تاريخ العقائد والأديان مختلف ما كان يتعبدون به ، مستندين في ذلك إلى ما ذكره القرآن الكريم عن أحوالهم ، وبالإمكان تصنيفهم الأصناف الآتية[١]

١. **منكروا الخالق والبعث والإعادة** : وهؤلاء أنكروا أن يكون هناك خالقاً للكون ، كما أنكروا البعث والإعادة ، وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني ، وهم الذين أخبر عنهم القرآن الكريم . في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ الجاثية: ٢٤ فاستدل عليهم بضرورات فكرية وآيات فطرية ، وقد نسوا أو تناسوا أن المحيي والمميت هو الله تعالى خالق كل شيء ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾البقرة: ٢١ . فأثبتت هذه الآية الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق ، وأنه قادر على الكمال إبتداءاً وإعادةً .

٢. **منكروا البعث والإعادة** : وهؤلاء لم ينكروا الخالق ، بل أقروا بالخالق وإبتداء الخلق والإبداع ، ولكنهم أنكروا البعث والإعادة ، وهم الذين أخبر عنهم القرآن

---

[١]. الشهرستاني : المصدر السابق ٢/٢٣٥ وما بعدها .

الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾يس : ٧٨. فاستدل عليهم بالنشأة الأولى إذ اعترفوا بالخلق الأول ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾يس: ٧٩.

٣. منكروا الرسل :وهؤلاء هم عبدة الأصنام ، وهم وإن أقروا بالخالق وإبتداء الخلق ونوع من الإعادة ، إلا أنهم أنكروا الرسل وعبدوا الأصنام وزعموا أنهم شفعاءهم عند الله في الدار الآخرة ، فحجوا إليها ونحروا لها الهدي ، وقربوا القرابين ، وتقربوا إليها بالمناسك والمشاعر ، فأحلوا وحرموا ، وهم الذين أخبر عنهم القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾الفرقان: ٧ . فاستدل عليهم بأن المرسلين كلهم كانوا كذلك ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾الفرقان: ٢٠

كان إنكار المشركين لبعثة الرسول ﷺ في الصورة البشرية شديداً وإصرارهم على ذلك بليغاً ، وأخبر القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾الإسراء: ٩٤ . فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد أن يأتي مع الرسول ملك من السماء يؤيده ويكون معه نذيراً ، قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾الفرقان: ٧ ، أما من كان لا يعترف أصلاً بالملائكة فكان لسان حالهم يقول : إن الشفيع والوسيلة لنا إلى الله تعالى الأصنام لاعتقادهم أنها الوسيلة التي تقربهم إلى الله زلفى .

جماع القول فيما تقدم :

اتضح لنا مما تقدم ان بعض أصناف المشركين لم ينكروا الله تعالى ، فهو عندهم خالق كل شيء ، وبيده كل شيء ، يؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾الزخرف: ٩ ، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾الزخرف: ٨٧ وهذا يعني توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية هذا لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم ، بل القلوب كلها مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات ، وهكذا إجتمع في توحيد الربوبية المؤمنون والكافرون .

ومن أقر بتوحيد الربوبية لله تعالى ، وأعترف أنه لا خالق إلا الله تعالى ، ولا رازق إلا الله تعالى ، ولا مدبر للكون إلا الله تعالى ، لزمه أن يقر أنه لا يستحق العبادة بجميع أنواعها إلا الله تعالى ، وهذا هو توحيد الإلوهية .

فلباب توحيد الإلوهية ، أن يرى العبد الأمور كلها من الله تعالى ، ثم يقطع الإلتفات إلى الوسائط من الأصنام وغيرها ، ويخرج عن هذا التوحيد إتباع الهوى فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده . قال تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ الجاثية: ٢٣

يقول المقريزي[١] : (وإذا تأملنا ذلك عرفنا أن عابد الصنم لم يعبد الصنم ، وإنما عبد هواه ، وهو ميل نفسه إلى دين آبائه ، فيتبع ذلك الميل) . وميلُ النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ، فما عَبَدَ أحدٌ من بني آدم كائناً ما كان إلاّ وقعت عبادته للشيطان ، فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه ، ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له وإشراكه مع الله تعالى ، وذلك غاية رضى الشيطان قال تعالى : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾يس: ٦٠.

---

١. المقريزي : تجريد التوحيد المفيد ص ٣٩

الفصل الثاني

التعريف بالأصنام والأوثان والأنصاب

المبحث الأول

موارد الأصنام والأوثان والأنصاب والفروق بينها

المبحث الثاني

جدلية العلاقة بين الأصنام والجبت والطاغوت

المبحث الأول

موارد الأصنام والأوثان والأنصاب والفروق بينها

ظهر الإسلام في الجزيرة العربية ، وكان من أهم عقائده توحيد الإلوهية وكان للعرب وغيرهم من الأقوام ، شتى الوسائل والسبل في عبادة الأصنام ، مما يصعب على أي باحث أن يحيط بها . وقد أمر الرسول ﷺ أصحابه بتحطيم الأصنام أينما وجدت ، وتناهى المسلمون عن التحدث عنها بعد أن عَفَوْا على آثارها وأزالوها من الوجود ، مع كل ما يمت إليها بصلة من قريب أو بعيد

إن تطهير الأرض من الشرك بالله تعالى ، ومحو كل أثر لعبادة الأصنام ، وثقه القرآن الكريم في العديد من آياته المباركات وفيما يأتي موارد هذه الآيات .

موارد الأصنام والأوثان والأنصاب[1] :

الأصنام : ورد ذكر الأصنام في خمس آيات ، نحو قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ ﴾الشعراء: ٧١

الأوثان : ورد ذكرها في ثلاث آيات ، نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا ﴾العنكبوت: ١٧

الأنصاب : ورد ذكرها في ثلاث آيات ، نحو قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ﴾المائدة: ٩٠

كما وردت كلمة التماثيل ، في موضعين إثنين لتدل على الأصنام ، نحو قوله تعالى: ﴿ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ ﴾الأنبياء: ٥٢ .

---

[1]. محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم الصفحات ٤١٥،٦٦١،٧٠١ و ٧٤٠ .

إن ما ورد ذكره من الأصنام والأوثان والأنصاب في القرآن الكريم ، يدل على مكانتها العالية عند العرب وغيرهم قبل الإسلام ، فقد كان القـــوم لا يقـــدموا على أي عمل إلا بعد العودة إلى هذه المعبودات الصنمية .

الفروق بين الأصنام والأوثان والأنصاب :

حتى يتسنى لنا تحديد الفروق بين الأصناموالأوثانوالأنصاب ، يتعين علينـــا الرجوع إلى المعاجم والقواميس اللغوية ودوائر المعارف ، للوقوف على معانيهـــا الحقيقية، التي من خلالها ستتضح لنا بشكل دقيق المعنى المقصود لكل منها

أولاً– الأصنام :

الأصنام : جمع (صنم) ، يقول ابن فارس في كلمة صـــنم[١] : (الـــصاد والنون والميم) كلمة واحدة لا فرع لها ، وهي الصنم ، وكل شيئاً يتخذ من خشب أو فضة أو نحاس فيعبد) ، وعند الراغب فإن الصنم[٢] : (جثة مـــن فـــضة أو نحاس أو خشب كانوا يعبدونها يتقربون بها إلى الله تعالى) .

فالصنم على هذا هو ما كان على صورة تمثال وصنع من خشب أو فـــضة أو نحاس أو حديد أو غيرها من جواهر الأرض ، وإذا كان مصنوعاً من حجـــر فهو (وثن) ، ويشترط في الصنم والوثن أن يكونا على هيئة جثة ســـواء كانـــت جثة إنسان أو حيوان ، وإذا لم يكن كذلك وكان مصنوعاً من الحجارة فهو (نصب) وجمعه (أنصاب) .

وذكر أهل الأخبار أن بعضاً من العرب كانوا يتعبدون لأصنام صنعوها من التمر والسمن والأقط فإذا جاعوا أكلوها[٣]

---

١. ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ص ٥٥٥ .

٢. الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ص ٢٨٧

٣. ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٢١٧

وكانت العرب تسمي كل صنم يعبدونه (أنثى بني فلان) ومنه قوله تعالى:

﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ النساء: ١١٧

وكانوا يقولون في أصنامهم هن بنات الله ، لذلك وجدنا أن كثيراً منهم يسمون أصنامهم بأسماء مؤنثة ، كاللات والعزى ومناة ، وكانت العرب تصف الضعيف بالإنوثة لضعف وجدوه في المرأة.

والإناث عند أهل اللغة كل شيء ليس له روح مثل الحجارة والخشب والنحاس والحديد ، وغير ذلك[١]

وللشيخ محمد عبده في تفسير كلمة (إناث) الواردة في الآية المتقدمة رأي فهو استبعد تفسير الإناث بالأصنام ، وقال إن كثيراً من المفسرين قالوا : أن المراد بالإناث هنا (الموتى) لأن العرب تطلق عليهم لفظ الإناث لضعفهم أو يقال لعجزهم ، ومع ذلك كانوا يعظمون بعض الموتى ويدعونها ، كما يفعل ذلك كثيراً من أهل الكتاب ومسلمي هذه القرون[٢]

والذي يترجح لدينا أن المقصود بالإناث بالآية الكريمة هي الأصنام لما بيناه ، وما أنكره الشيخ محمد عبده من كون الإناث هي الأصنام ، وترجيحه للموتى مسألة فيها نظر ، لكنه أصاب في جانب آخر ، عندما قال أن العرب قبل الإسلام كانوا يعظمون الموتى ويدعونهم ، كما يفعل أهل الكتاب ومسلمي هذه القرون .

قال الراغب الأصفهاني[٣] : وقد جاء في دعاء إبراهيم عليه السلام لله تعالى : ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ إبراهيم: ٣٥. ومعلوم إن إبراهيم عليه السلام مع تحققه بمعرفة الله تعالى ، وإطلاعه على حكمته ، لم يكن ممن يخاف أن يعود إلى عبادة تلك الأصنام التي كانوا يعبدونها ، فكأنه قال : (واجنبني في الإشتغال بما يصرفني عنك)

---

١. الزمخشري : تفسير الكشاف ٥٦٦/١ ، القرطبي : تفسير الجامع لأحكام القرآن ٣٨٧/٥ ، الشيخ محمد رشيد رضا : تفسير المنار ٤٢٤/٥

٢. الشيخ محمد رشيد رضا : المصدر السابق ٤٢٥/٥ .

٣. الراغب الأصفهاني : المصدر السابق ص ٢٨٧

وبذلك يتضح لنا أن كل ما عبد من دون الله ، بل كل ما يشغل عن الله فهو صنم .

وفي أصل كلمة (صنم) قيل أنه معرب من كلمة (شَمَن) وهو الوثن[1]

ثانياً- الأوثان :

الأوثان : جمعوثن ، وهي حجارة كانت تعبد[2] . وقيل الوثن الصنم[3].ويروى أن عدي بن حاتم الطائي قدم إلى النبي ﷺوفي عنقه صليب من ذهب ، فقال له النبي ﷺ: (ألقِ هذا الوثن عنك)أراد به الصليب[4].

وقد توسع الباحثون في تفسير كلمة وثن حتى قالوا[5] : الوثن يتناول كل معبود من دون الله تعالى سواء كان المعبود قبراً ، أو مشهداً أو صوراً ، أو غير ذلك ، كما قال آخرون[6] : الوثن . التمثال يعبد ، سواء كان من خشب ، أو فضة ، أو نحاس ، أو حجر ، أو غير ذلك . ويتضح مما تقدم أن الوثن أعم من الصنم.

ثالثاً – الأنصاب :

الأنصاب : جمع نُصب ، والنُصب حجر ليس له صورة معينة . كان ينصب فيعبد . ويقال : النصب : حجر ينصب بين يدي الصنم تُصَبُّ عليه دماء القرابين للأصنام[7]. وهناك من قال أن النصب : صنم أو حجر ، كانت الجاهلية تنصبه تذبح عنده فتحمره بالدم ، ومنه حديث أبي ذر الغفاري ﷺقاله عند

---

1. محمد عبد المنعم خفاجي :.شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ص ١٧٠ ، الرازي مختار الصحاح ص ١٥٦
2. ابن فارس : المصدر السابق ص ١٠٤٣
3. الرازي : المصدر السابق ص ٢٩٥
4. ابن منظور : لسان العرب ، مادة وثن .
5. الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٢٢٥
6. المعجم الوسيط : ١٠١٢/٢
7. الزمخشري : أساس البلاغة ص ٤٥٨ ، ابن فارس : المصدر السابق ص ٤٥٨ .

إسلامه[1] : (فخرجت مغشياً عليَّ ثم ارتفعت ، كأني نصب أحمر) . يريد أنهم ضربوه حتى أدموه ، فصار كالنصب المحمر بدم الذبائح . أما الكلبي فقال[2] : وكان للعربحجارةٌ غَيْرُ منصوبةٍ يطوفون بها ويعتمرون عندها يسمونها الأنصاب ويسمون الطواف بها الدّوار . والدوار نسك لعرب الجاهلية يدورون فيه لصنم أو غيره ، وما قيل أن الدوار كان صنماً تنصبه العرب غير مسلم به ، فالدوار ليس صنماً وإنما هو عبادة شركية لا غير[3]

وتلعب عبادة الحجر دوراً كبيراً في الدوار حول الأنصاب فكان عبدة الأصنام يقيمون الأحجار ثم يطوفون حولها يتخذون الدوار عبادة لهم وقد تكون الأحجار أصناماً وقد تكون حجارة تنتقى فيطاف حولها فإن لم يجدوا حجرا جمعوا حثية من التراب ثم يأتون بغنم يحلبونها عليه ثم يطوفون به[4]

جماع القول فيما تقدم :

ان عودة سريعة إلى ما قلناه عن الأصنام والأوثان والأنصاب نجد ان هناك آراءً متباينةً في معنى الصنم ومعنى الوثن ومعنى النصب ، فمن الآراء ما يجعل الصنم مرادفاً للوثن ، أي أن معناها واحد ، ومن الآراء ما يفرق بينهما ، ومنها ما يجعل الصنم وثناً ، والوثن صنماً ، وربما يعود ذلك إلى اختلاف استعمال القبائل العربية لهذه الكلمات ، فلما وضع علماء اللغة معانيها ، وقع لهم هذا التباين ، وحدث عندهم هذا الاختلاف. على أننا نستطيع الفصل في موضوع الصنم والوثن والنصب ، فنقول : الصنم هو مثال صورة الإنسان أو الحيوان يصنع من ذهب أو فضة أو نحاس أو خشب ، أما الوثن فهو صورة الإنسان أو الحيوان وينحت من الحجارة ، أما النُصب ، فهو حجارة ليس لها ملامح معينة ، وهذا هو الأرجح الذي أتفق عليه أهل التفسير واللغة .

---

١. الدكتور أحمد زكي : تكملة كتاب الأصنام ص ١١١

٢. الكلبي : الأصنام ص ٤٢ .

٣. ابن منظور :لسان العرب ، مادة (دوار) ٣٨٤/٥

٤. ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ٣٢/٣ ، وهذا طرف من حديث أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي رجاء العطاروي .

المبحث الثاني
جدلية العلاقة بين الأصنام والجبت والطاغوت

وللجبت والطاغوت علاقة جدلية بالأصنام والأوثان والأنصاب لتقارب المعاني المشتركة فيما بينها لذلك رأينا من المناسب التنويه عنها ، والوقوف على حقيقة هذا التقارب والمفاهيم المشتركة فيما بينها . ومن نافلة القول أن نذكر أن كلمة (الجبت) وردت في القرآن الكريم مرة واحدة بصيغة المفرد ، فيما وردت كلمة (الطاغوت) مفردة ثماني مرات[1] . وقد اجتمعتا مرة واحدة في آية واحدة في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾النساء: ٥١.

<u>الجبت والطاغوت في اللغة :</u>

الجبت في اللغة أصله من الجبس ، قلبت سينهتاءاً ومعناه الشيء الرديء أو كل ما هو رذيل لا خير فيه[2] . وفي الحديث الشريف الذي أخرجه أبو داود في سننه ، أن النبي ﷺ[3] قال : (الطيرة والعيافة والطرق من الجبت) وإنما قال ذلك لأن هذه الأعمال هي من الأعمال الرذيلة التي يتعاطاها أخس الناس ولا يحصل منها خير ، ولا يأتي منها فائدة فهي شر محض لا غير

---

1. محمد فؤاد عبد الباقي : المصدر السابق ص ١٦٣ و ٤٢٧ .
2. الآلوسي : تفسير روح المعاني ٥/٥٤ ، وقارن بمفردات الراغب الأصفهاني ص ٨٤ .
3. النووي : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ص ٤٦٠ ، رقم الحديث (١٦٦٨) .

أما الطاغوت فكلمة مؤنثة من طغى يطغى ، وقيل من طغى يطغو ، وهو مجاوزة الحد بزيادة عليه ، وذهب إمام النحاة سيبويه إلى أن الطاغوت إسم مذكر مفرد كأنه إسم جنس يقع للقليل والكثير(١)

وقيل أصل الطاغوت في اللغة من الطغيان ، يؤدي معناه من غير اشتقاق ، خلافاً لما ذهب إليه أبو علي الفارسي حيث قال : أن الطاغوت مصدر كرهبوت وجبروت ، ويوصف به الواحد والجمع ، اما المبرد ، فذهب إلى أن الطاغوت جمع ، لكن ابن عطية عقب عليه وقال : انه مردود(٢)

والذي نراه أن الطاغوت قد يكون مفرداً كما في قوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾النساء: ٦٠ . وقد يكون جمعاً كما في قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾البقرة: ٢٥٧.

أقوال العلماء في معنى الجبت والطاغوت :

ولقد اختلف علماء اللغة والتفسير أيما اختلاف في تأويل معنى الجبت والطاغوت،ورويت في ذلك روايات عديدة يتقاطع بعضها مع البعض الآخر ، وفيما يأتي أهم أقوالهم ، وبيان درجة القرابة والمشابهة فيما بينها ، والحد الفاصل بين الجبت والطاغوت .

قال عمر بن الخطاب ﷺ: (الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان) وقال ابن عباس وسعيد بن جبير وأبو العالية : الجبت الساحر بلغة الحبشة ، وقال ابن مسعود : الجبت والطاغوت هما كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب ، وقال قتادة : الجبت الشيطان والطاغوت الكاهن ، وروى ابن وهب عن مالك بن أنس أنه قال : الطاغوت كل ما عبد من دون الله .

---

١. القرطبي : المصدر السابق ٢٨١/٣

٢. القرطبي : المصدر السابق ٢٨١/٣ وما بعدها وقارن بمعجم مقاييس اللغة ص ٥٩٥ لأبن فارس وأساس البلاغة ص ٢٨٠ للزمخشري ومختار الصحاح ص ١٦٥ للرازي ، زالمفردات ص ٣٠٥ للراغب والمعجم الوسيط ٥٥٩/١ .

وقيل أيضاً الجبت والطاغوت : كل ما عبد من دون الله ، أو مطاع في معصية الله ، وقيل الجبت كل ما حرم الله ، والطاغوت كل ما يطغي الإنسان[1]

وقد يطلق الجبت ويراد به الصنم ، وقد يطلق ويراد به بيت الصنم ، على أن هناك من فَصّلَ أكثر فقال : الجبت والطاغوت أصنام ، أو أن الجبت : الأصنام ، والطاغوت : الأشخاص الذين يكونون بين يديّ الأصنام يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس[2]

ويلاحظ مما ذكرنا من أقوال أن علماء اللغة والتفسير لم يتفقوا على معنى محدد لكل من الجبت والطاغوت ،فالجبت عند البعض السحر ، وعند آخرين الشيطان ، والجبت كذلك عند البعض الساحر بعينه ، وعند آخرين أشخاص مثل كعب بن الأشرف اليهودي ، وغيره .

وقد يتفق علماء اللغة والتفسير على الجبت والطاغوت فيقولوا أنهما : الشياطين أو أنهما صنمين لقريش ، وأن بعض اليهود سجدوا لها مرضاة لمشركي مكة واستمالة لهم ليتحدوا معهم على قتال المسلمين .

وهكذا يتبين لنا بعد كل ما تقدم أن المعنى اللغوي للجبت : هو الشيء الرذيل الذي لا خير فيه ، وأن الطاغوت معناه : مجاوزة الحد بزيادة عليه . أما في الاصطلاح فإن التعبير عنهما يدل على أنهما يشملان كل شر يكون عليه الناس من عبادة للأصنام والتحاكم إليها والإستنصار بها . وكذلك كل ما تكون عبادته والإيمان به سبباً للطغيان والخروج عن الحق عند مخلوق يعبد ، ورئيس يقلد ، وهوى يتبع[3]

الحلف بالطواغيت والأصنام :

لما كان عرب الجاهلية قد انغمسوا كثيراً في عبادة الأصنام والطواغيت فكانت ألسنتهم تسبقهم لما أعتادوه من الحلف بالأصنام والطواغيت يوم كانوا على

---

1. القرطبي : المصدر السابق ٢٤٨/٥ وما بعدها .
2. الآلوسي : المصدر السابق ٦٥/٥ والأزرقي : أخبار مكة ٣٧٨/١
3. الشيخ محمد رشيد رضا : المصدر السابق ١٥٧/٥

دين الشرك لذلك وجدناهم يحلفون بها في الإسلام[1] . ويبدو أن معتقدهم في الأصنام والطواغيت ظل في نفوس البعض منهم لذلك جاء النهي عن النبي ﷺبالحلف بها يؤيد ذلك ما أخرجه مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ[2] : (لا تحلفوا بالطواغيت ولا بآبائكم)

جماع القول فيما تقدم :

إن كل من عدل عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ إلى سواهما من الباطل ، فهو قد تعامل مع الجبت والطاغوت وتحاكم إليهما . وكذلك من عبد شيئاً غير الله تعالى فقد عبد الطاغوت ، فإن كان المعبود صالحاً صارت عبادة العابد له راجعة إلى الشيطان الذي أمره بَها ، ومن كان يدعو إلى عبادة نفسه أو عبادة الشجر والحجر وغيرهما مما يتخذه المشركون أصناماً ، فهي من الطاغوت الذي أمر الله عبادهُ أن يكفروا به ، ذلك لأن عبادة أي معبود من دون الله تعالى سواء كانت العبادة للأصنام أم لغيرها ، إنما هي من عمل الشيطان ، فالشياطين هم أساسها وخواصها ، وهكذا فإن الخارجين عن الحق من الذين تنطبق عليهم صفةالجبت والطاغوت هم شياطين أنسية تعمل بوحي شياطين جنية ، تسير على خطاها، وتنفذ أوامرها ، وبذلك أصبحت العلاقة بين الأصنام والجبت والطاغوت علاقة جدلية متينة لا تنفك أحدهما عن الأخرى تجتمع جميعها على معصية الله تعالى ورسوله ﷺ .

---

[1]. ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢٥٣/٤

[2]. النووي : رياض الصالحين ص ٤٦٨ رقم الحديث (١٠٧٦) .

الفصل الثالث
انتشار عبادة الأصنام في بقاع الأرض

المبحث الأول
قدم عبادة الأصنام

المبحث الثاني
دور الأنبياء عليهم السلام في مقارعة عبدة الأصنام

المبحث الأول

قِدَم عبادة الأصنام

التوحيد والشرك أيهما أسبق ؟ :

اختلف الباحثون في أيهما أسبق من الآخر التوحيد أم الشرك ؟ فذهب البعض منهم إلى أن التوحيد سابق على الشرك ، وقالوا أن آدم وذريته كانوا على دين التوحيد ، وقد فسروا قوله تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾البقرة: ٢١٣ ، أنهم كانوا على الهدى ، أي على دين التوحيد الخالص ، واستمروا على دين التوحيد قرابة الألف سنة يؤيد ذلك ما رواه الطبري عن جماعة من السلف أنهم قالوا[1] : (بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على ملة الحق) ثم حصل أول إنحراف في عقيدة التوحيد فعبدوا الأصنام وابتعدوا تدريجياً عن ديانة التوحيد ، فبعث الله العديد من الأنبياء والرسل لإعادة الإنسانية إلى رشدها ، والحكم فيما اختلفوا فيه ، قال تعالى بصدد ذلك : ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾البقرة: ٢١٣

فيما ذهب البعض الآخر ، إلى أن الشرك كان سابقاً على التوحيد ، فالإنسان ولد ولم يعرف شيئاً عن العقيدة الدينية ، فهو منذ أن وجد على الأرض كان يتوسل بالآلهة لقضاء حاجاته اليومية ، ولم يكن مقصده من هذه التوسلات التي كانت أقرب ما تكون إلى العبادة بشكل أو بآخر ، إلا وجهاً من وجوه إسترضاء الآلهة لإعتقاده بوجود قوى خفية عليا تحكمه ، وهو يسترضي الآلهة بكل الوسائل المتاحة لديه لكي تجنبه الكوارث والشرور . ثم اقتضت حكمة الخالق ﷻ من أجل سعادة الإنسان أن يتحول إلى التوحيد من خلال إرسال الله تعالى الرسالات السماوية إليهم بواسطة الأنبياء والرسل .

---

[1]. الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١/١٧٨

وقد طرح عالم الأجناس البشرية (إيفار لسنر) في كتابه (الله والإنسان والسحر) فكرة شاملة تقول[١] (إن أسلافنا البدائيين اعتقدوا بوجود إله واحد ، ثم انحطوا بالتدريج بسبب النفوذ الشرير لسحرة القبائل وساحراتها ، وتحولوا إلى عبادة آلهة متعددة)

رأي آخر جدير بالمناقشة :

وقد وجدنا بأن هناك من لم يأخذ بما تقدم حول موضوعة أيهما أسبق الشرك أم التوحيد ؟ وهؤلاء هم نفر من الباحثين الغربيين الذين ذهبوا إلى أن الإنسان لم يكن يعرف العقيدة على ما يعرفها عليه اليوم مرة واحدة ، فالعقيدة قد ترقت وتطورت في فترات وقرون متعاقبة ، وقد سرت هذه النظرية إلى الكثير من الكتاب العرب والإسلاميين وأعتنقها جملة من الدارسين فوقعوا في شراك من سبقهم[٢]

إن الذي أوقع هؤلاء في هذا الخطأ ، أنهم قدروا أن الإنسان خلق ناقصاً غير مؤهل لأن يتلقى الحقائق العظمى كاملة ، بل أن تصوراتهم عن الإنسان الأول تجعله أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان كما ظن هؤلاء أن الإنسان اهتدى إلى العقيدة بنفسه بدون معلم يعلمه ومرشد يوضح له ، وما دام الأمر كذلك فلابد أن يترقى في معرفته بالله ، فضلاً عن أنهم عندما بحثوا في الأديان لم يجدوا أمامهم إلا تلك الأديان المنحرفة أو الضالة فجعلوها ميدان بحثهم ، فأخضعوها للدراسة والتمحيص ، وأنى لهم أن يعرفوا الحقيقة من تلك الأديان التي تمثل إنحراف الإنسان في فهم العقيدة السليمة[٣]

---

١. كولن ولسن : الإنسان وقواه الخفية ص ١٥٧

٢ . الدكتور عمر سليمان الأشقر : العقيدة في الله ص ٢٨٩

٣. الدكتور عمر سليمان الأشقر : المصدر السابق ص ٢٩٠ – ٢٩١ باختصار وتصرف .

الرأي الراجح :

والذي يترجح لدينا من كل ما تقدم ، أن التوحيد سابق على الشرك ، فالإنسان
خلق وهو بطبعه ميالاً إلى التوحيد ، وآدم عليه السلام الذي خلقه الله فأحسن خلقه ، لم يكن مجرد إنسان فحسب ، فالله عندما خلقه ليكون خليفة في أرضه لم يتركه عرضة للهواجس والأفكار ، بل رعاه ووجهه الوجهة الحكيمة التي فيها كل معاني الخير والمحبة والسلام ، فلقد خاطب الله تعالى آدم بلا واسطة وشرع له في ذلك الخطاب ، فأمره ونهاه ، وأحل له وحرم عليه ، وقد أخبر الله تعالى آدم وزوجه حواء أن ذريتهما سيعيشون في الأرض ليعمروها ويتمتعون فيها تمتعاً مرموقاً إلى حين انتهاء آجالهم ، وأنه تعالى سيمدهم بالهدى والرشاد ، ووعد المستجيبين بالهداية في الدنيا والسعادة في الآخرة ، وتوعد المستكبرين بمعيشة ضنكاً في الدنيا وبالشقاء في الآخرة .

أول ما عبدت الأصنام :

اختلف الباحثون في التاريخ الذي عبدت فيه الأصنام في الأرض ، فمنهم من قال إن أول ما عبدت الأصنام ، أن آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيت بن آدم في مغارة في الجبل الذي أهبط عليه بأرض الهند يقال له (نَوْذ) ، وكان بنو شيت بن آدم يأتون جسد آدم في المغارة ، فيعظمونه ويترحمون عليه ، فقال رجل من بني قابيل إن لبني شيت (دواراً) يدورون حوله ويعظمونه ، وليس لكم شيء ، فنحت لهم صنماً فكان أول من عملها[1]. وهناك من قال أن أول ما عبدت الأصنام في الأرض كان في زمن نوح عليه السلام ، وعد ذلك أول إنحراف عن التوحيد في تاريخ البشرية[2] ، وذكر أهل الأخبار أن (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر) كانوا

---

[1]. الكلبي : الأصنام ص ٥٠ – ٥١ .

[2]. الدكتور عمر سليمان الأشقر : المصدر السابق ص ٢٩٤

رجالاً صالحين فلما ماتوا جزع عليهم ذوو قرابتهم ، فقال رجل : يا قوم هل لكم ان اعمل لكم خمسة أصنام على صورهم ، غير أني لا أقدر على أن أجعل فيها أرواحاً ؟ . قالوا : نعم ، فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم ثم عبدوها فيما بعد[1]

والذي يتضح لدينا مما تقدم من آراء ، أن عبادة الأصنام كانت معروفة ومنتشرة قبل زمن نوح عليه السلام ، يؤيد ذلك ما ورد في الروايات أن نبي الله إدريس عليه السلام وكان زمنه قبل زمن نوح عليه السلام، قد دعا قومه إلى ترك عبادة الأصنام وتوحيد الله وإفراده بالعبادة لكن قومه كذبوه[2]

وهكذا عبد العرب ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره ، فعبدوا الأصنام وصاروا إلى ما كان عليه الأمم من قبلهم ، فعبدوا ما كان يعبدهُ قوم نوح من الأصنام ، وبقي فيهم ما كان من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يتنسكون بها ، كتعظيم البيت ، والطواف به ، والحج والعمرة ، والوقوف بعرفة والمزدلفة ، وإهداء البدن ، والإهلال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه .

دوافع عبادة الأصنام :

كان عبدة الأصنام يعتقدون أن الأصنام تدافع عنهم وعن قبائلهم ، كما يدافع سيد القبيلة عن قبيلته ، وكانت القبائل في الحروب تحمل رموزها الدينية المقدسة وغايتها من ذلك التبرك بها واستمداد العون والنصرة منها

ويذكر المؤرخون أن المعارك التي حصلت بين الملك سنحاريب ملك آشور والأعراب ، أن الأعراب كانوا يحملون معهم أصنامهم لتدافع عنهم ، ولكن الآشوريين غلبوهم في أحدى المعارك ، وأخذوا منهم غنائم وأسرى من بينها أصنامهم التي وقعت في الأسر ، وبقيت كذلك أسيرة إلى أن توفى الملك سنحاريب

الكلبي : المصدر السابق ص ٥١ .

[2]. الكلبي : المصدر السابق ص ٥١ .

وخلفه إبنه في حكم البلاد فجاء الأعراب بهدايا كثيرة رجاء إسترضائه وإعادة أصنامهم ، فرق الحاكم على حالهم ، فأعاد إليهم أصنامهم سيئة الحظ[1]

وفي الشعر الجاهلي وردت إشارات تدل على إعتقاد عرب الجاهلية باشتراك الصنم في الحروب ضد الأعداء من القبائل الأخرى ، ففي الحرب التي جرت بين (بني أنعم) وبين (بني غطيف) بشأن الصنم يغوث قال الشاعر

وسار بنا يغوث إلى مرادِ فناجزناهم قبل الصباح

كما اعتقدت القبائل أن أصنامها هي التي تجلب لها النصر والخسارة ، وأن إعتقاداً كهذا قد يؤدي بهم أحياناً إلى الإعراض عن الصنم المحبوب ونبذه نتيجة لإنهزام القبيلة ، إذ يتبادر إلى تلك القبيلة ، أن تلك الهزيمة التي نزلت بها إنما كانت بسبب ضعف ربها واستكانته ، وعدم إقتداره في الدفاع عنها ، لذلك تقرر الإستغناء عنه والتوجه إلى رب آخِر

وقد يبرر كاهن القبيلة أن هزيمة أتباع ذلك الصنم ، إنما جاءت عقوبة لهم بسبب ابتعادهم عن أوامره ونواهيه ، ولعدم إطاعتهم أحكام دينه[2]

وفي معركة أحد التي جرت في السنة الثانية للهجرة بين المسلمين والمشركين وبعد إنكسار المسلمين في المعركة ، علا صوت أبو سفيان يوم كان مشركاً قائلاً (أعلُ هبل) ليبعث الحماسة في نفوس المشركين ، وليستغيث بالصنم (هبل) في الدفاع عن قومه من المشركين[3]

---

[1]. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٦٣/٦

[2]. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٦٥/٦

[3]. الطبري : المصدر السابق ٥٢٦/٢ .

المبحث الثاني

دور الأنبياء عليهم السلام في مقارعة عبدة الأصنام

الدين عند الله الإسلام :

الشرك بالله تعالى من أعظم الجرائم فظاعة وأشدها ظلماً، لذلك بعث الله تعالى الأنبياء إلى أممهم لغرض دعوتهم إلى عبادة الله تعالى ، والنهي عن عبادة ما سواه ، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾النحل: ٣٦. وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال[١] سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أكبر ؟ قال (ان تدعو لله نداً وهو خالقك) وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال[٢] : كنت رِدف رسول الله ﷺ على حمار يقال له عُفير فقال ﷺ (يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ؟) قال : قلت الله ورسوله أعلم . قال : (فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً) فالشرك بالله يحبط الأعمال جميعاً ، قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾الأنعام: ٨٨. لذلك جاء النهي عن الشرك في العديد من الآيات ، منها قوله تعالى :﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾الكهف: ١١٠. وعبادة الأصنام من قبيل الشرك ، لأن أصحابها اتخذوا معبودات من دون الله ، واستحدثوا البدع في دين الله تعالى ما أنزل الله بها من سلطان . لذلك أرسل الله تعالى الأنبياء إلى الأمم لدعوة الناس إلى توحيده وترك عبادة الأصنام ، وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال[٣] : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

---

[١]. شرح صحيح مسلم للنووي ٧٢/٢ رقم الحديث (١٤٢) .

[٢]. شرح صحيح مسلم للنووي ٢٠٣/١ رقم الحديث (٤٩) .

[٣]شرح صحيح مسلم للنووي ٣٦/٧ رقم الحديث (٩٦٩)

ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ؟ أمرني أن لا أدع قبراً مشرفاً إلا سويته ، ولا تمثالاً إلا طمسته)

وهكذا استمرت عناية الله تعالى لبني آدم فكلما زاغوا عن الحق وابتعدوا عن المنهج السليم بإتباعهم الشيطان ، كلما أنزل الله تعالى عليهم هداه يضيء لهم دروب الظلمات ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾المؤمنون: ٤٤.

كانت دعوة نوح عليه السلام لقومه من عبدة الأصنام (﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾يونس: ٧٢.

وكانت دعوة إبراهيم عليه السلام: (﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾البقرة: ١٢٨.

وكانت وصية إبراهيم عليه السلام لبنيه : (﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾البقرة: ١٣٢

وكانت وصية يعقوب عليه السلام لبنيه ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾البقرة: ١٣٣.

وفي قوم لوط عليه السلام قال تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾الذاريات: ٣٥ – ٣٦.

وفي يوسف عليه السلام وهو يرجو ربه ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ يوسف: ١٠١.

وفي موسى عليه السلام: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾يونس: ٨٤ .

وفي سليمان عليه السلام وهو يدعو قوم ملكة سبأ (﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ النمل: ٣١

وفي عيسى عليه السلام حين قال لقومه : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾آل عمران: ٥٢

وفي أمة محمد ﷺ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾الشورى: ١٣.

وهكذا وجدنا أن جميع الأنبياء عليهم السلام كانت دعوتهم لأقوامهم توحيد الله تعالى وعدم إشراك غيره معه في العبادة وأن الدين الحق الذي ارتضاه لعباده هو الإسلام . قال تعالى :﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾آل عمران: ٨٥.

صراع الأنبياء مع عبدة الأصنام :

إن الحديث عن صراع الأنبياء مع عبدة الأصنام صراع طويل ومرير ، وثقه القرآن الكريم في العديد من آياته ، كما وثقته السنة النبوية الشريفة في العديد من أحاديث رسول الله ﷺ وقد ألمحنا فيما سبق من القول أن التاريخ حدثنا أن عبادة الأصنام قد عرفت لأول مرة في زمن إدريس عليه السلام، إذ كان يدعو قومه إلى ترك عبادة الأصنام وتوحيد الخالق ، لكن قومه كذبوه ، ولم يؤمنوا بما كان يقوله لهم ، فرفعه الله تعالى إليه مكاناً علياً ، قال تعالى :﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾مريم: ٥٦ – ٥٧.

قوم نوح وعبادة الأصنام :

أما نوح عليه السلام فقد أرسله الله بالرسالة الإلهية إلى قومه عندما تحولوا إلى عبادة الأصنام ، وأمعنوا في الكفر والضلالة ، فدعاهم إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة فلم يستجيبوا له وقد ذكر لنا القرآن الكريم أسماء الأصنام التي

كانوا يعبدونها ، وهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾نوح: ٢٣. ويفهم من الآية المتقدمة ، أن لقوم نوح عليه السلامفضلاً عن الأصنام الخمسة التي ذكرناها كان لهم آلهة أخرى ، هي الكواكب السيارة ، لكنهم فضلوا عبادة الأصنام عليها ، لأن الأصنام موجودة أمامهم يرونها لا تغيب عنهم ، أما الكواكب السيارة فهي تضيء ليلاً وتختفي نهاراً

لبث نوح عليه السلامفي قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى طريق الخير والرشاد ، وإلى عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد الذي ليس له شريك ولا نديد ، ورغم المدة الطويلة التي قضاها معهم ، لم يلق منهم أي استجابة ، بل صدوا عنه ، ومضوا في عبادة أصنامهم المشؤومة ، ولم يؤمن برسالته إلا القليل .

استمر نوح عليه السلامبدعوة قومه ولم يمل ولم يكل ، لكن جميع محاولاته في إقناعهم باءت بالفشل ، واستمروا في طغيانهم يعمهون ، ثم تحدوه أخيراً بأن ينزل الله عليهم العذاب إن كان صادقاً في دعوته ، وبعد أن يئِسَ منهم تماماً ، توجه إلى الله تعالى بالدعاء عليهم بالهلاك ، قال تعالى :﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾نوح: ٢٦ – ٢٧ ثم أمر الله تعالى نوح عليه السلام: أن يصنع سفينة ويحمل فيها من كلٍ زوجين أثنين من الحيوانات والأحياء ، وأن يركب هو ومن آمن معه ، وهم قليل ، فصنع سفينة النجاة ، وأصعد إليها المشمولين بالخطاب ، قال تعالى :﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾هود: ٣٦ – ٣٧. ثم بدأ الطوفان فنجا المؤمنون وبينهم نوح عليه السلام، وأغرق من كان يعبد الأصنام مع أصنامهم المشؤومة ، فقال تعالى :﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾الفرقان: ٣٧.

قوم هود عليه السلام وعبادة الأصنام:

قوم نبي الله هود عليه السلام(عاد) ومساكنهم في أرض الأحقاف (في اليمن) ، وهي تقع فيشمال حضرموت . كان قوم هود أصحاب أصنام وأوثان يعبدونها من دون الله ، ضاهوا في صناعتها قوم نوح عليه السلام، وروت كتب التاريخ أنهم اتخذوا أصناماً ثلاثة يقال لأحدها (صداء) وللأخر (صمود) وللثالث (الهباء)[1]

بعث الله تعالى إليهم نبيهم هود عليه السلام فدعاهم إلى عبادةالله تعالى وأمرهم أن يوحدوه وأن يكفوا عن ظلم الناس والتوقف عن عبادة الأصنام فأبوا ذلك وكذبوه ، قال تعالى :﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾الأحقاف: ٢١ – ٢٢.

استمر القوم في تجاهلهم تلك البراهين التي قدمها لهم هود عليه السلاموأقامها على صدقه ، فرموه بالسفاهة والكذب والخروج عن السبيل السوي بابتداعه الدعوة إلى ترك عبادة الأصنام وإفراد الله تعالى بالعبادة ، قال تعالى :﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾الأعراف: ٦٦. وكان حجتهم في ذلك أن ما ورثوه عن الأجداد من عبادة الأصنام والاستشفاع بها ، والنذور لها ، ذلك هو المطاع عندهم ، قال تعالى :﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾الأعراف: ٧٠.

وظل هود عليه السلاممع قومه يحاورهم في صراع عقائدي كانت النصيحة هي الأساس لكنهم لم يستجيبوا له ، وأمعنوا في ضلالهم وتكذيبهم الحق ، فاتهموه مرة أخرى بأن بعض آلهتهم أصابته بسوء ويقصدون به جنون أو فساد في الرأي أو العته[2] ، قال تعالى :﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾هود: ٥٤

---

[1]. الطبري : المصدر السابق ٢١٦/١ ، المسعودي : مروج الذهب ١٤٥/٢

[2]. محمد بن يوسف اطفيش : تيسير التفسير للقرآن الكريم ٤٤٤/٥

ولما لم يرعوِ قومه عن عبادة الأصنام ، وعن سوء الأعمال التي كانوا يقومون بها ، رغم كل ما قدمه لهم من أدلة تبطل عبادتهم للأصنام ، أنذرهم بأن العقاب الإلهي واقع عليهم لا محالة ، وأنه سيكون قريباً ، فجاء أمر الله ، فأرسل عليهم الريح العقيم فيها عذاب أليم فأهلكهم وأبادهم عن بكرة أبيهم ، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾الحاقة: ٦ – ٨.

أما هود عليه السلام فنجاه الله تعالى مع الذين آمنوا معه من هذا العذاب الغليظ . قال تعالى :﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ هود: ٥٨.

وقد ذكر الأزرقي في أخبار مكة أن نجاة هود كانت باعتزاله قومه بعد يأسه من قبول دعوته ، وذهابه مع من آمن معه إلى مكة ، حيث عاش هناك فيها أمداً ثم مات ودفن فيها[١] . وفي الحديث أن النبي ﷺ قال[٢] (كان النبي من الأنبياء إذا هلكت أمته لحق بمكة فيتعبد فيها ومن معه حتى يموت فيها) فمات بها نوح وهود وصالح وشعيب وقبورهم بين زمزم والحجر.

قوم صالح عليه السلام وعبادة الأصنام :

قوم صالح عليه السلام (ثمود) ولم يبين القرآن الكريم مساكنهم ، وإنما يظهر من قوله تعالى : ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾الفجر: ٩ أن مساكنهم كانت في مناطق جبلية أو في هضاب صخرية ، وبَيَّنَ أكثر أهل الأخبار أنهم كانوا يسكنون الحجر إلى وادي القرى بين الحجاز والشام[٣]

وكانت ثمود تتعبد لأصنام كثيرة منها[٤] : (مناف ومناة وود واللات وكاهل

---

١. الأزرقي : أخبار مكة ٦٨/١

٢. الأزرقي : المصدر السابق ٦٨/١

٣. الطبري : المصدر السابق ٢٢٧/١

٤. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٣٣١/١

وشمس وبعلة ورُضاء وهبل ويغوث وهلال ووبر) .

أرسل الله تعالى إلى ثمود نبيه صالح عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد وترك عبادة الأصنام ، قال تعالى :﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾هود: ٦١. لكن ثمود كذبت صالح عليه السلام وأبت أن تستجيب إلى عبادة الله وتوحيده ، رغم أن الله تعالى أنعم عليهم بالنعم الوفيرة من المآكل والمشرب والملبس والمسكن ، وقد ذَكَّرَهُم الله تعالى بهذه النعم قال تعالى :﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾الأعراف: ٧٤.

لم يؤمن قوم صالح عليه السلام بما جاءهم به من البينات ، ولم يسيروا في طريق الحق ، بل راحوا يتهمونه بالهذيان ، وأن السحر سيطر على عقله فسول له أنه نبي من عند الله ، لذلك طلبوا منه أن يأتيهم بمعجزة تدل على قوله أنه رسول من عند الله ، فأتاهم بالمعجزة من عند الله وهي الناقة التي خلقها الله على غير المألوف ، وتحدث الطبري عن معجزة الناقة فقال[1] :(إن صالحاً دعا قومه إلى الخروج إلى هضبة من الأرض فإذا الهضبة تتمخض كما تتمخض الحامل ، تفرجت فخرجت من وسطها الناقة) ، فأمرهم صالح عليه السلام ألا يمسوها بسوء ، وجعل لها شرباً في يوم معلوم ، وجعل لهم شرباً في يوم غيره وأوعدهم بالعذاب إن هم إعتدوا عليها ، وأن سلامتهم من سلامة الناقة ، قال تعالى:﴿ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الأعراف: ٧٣.

لم يطق القوم وجود الناقة بينهم فأقدموا على ذبحها غير مبالين بالعواقب التي أنذروا بها ، وإمعاناً منهم بالتحدي واللامبالاة طلبوا من صالح عليه السلام أن يعجل لهم العذاب الذي هددهم به إن كان صادقاً في دعواه ، قال تعالى :﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ

---

[1]. الطبري : المصدر السابق ٢٢٧/١ ، المسعودي : المصدر السابق ٤٣/٢

وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾الأعراف: ٧٧ – ٧٨.

أما صالح عليه السلام ومن آمن معه فقد نجوا من الهلاك المبين ، قال تعالى :﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾فصلت: ١٧ – ١٨.

ومن أهل العلم من يزعم أن صالحاً عليه السلام توفي في مكة وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة ، وأنه أقام في قومه عشرين سنة[١]

قوم إبراهيم عليه السلام وعبادة الأصنام :

أكدت المصادر العربية أن مولد إبراهيم عليه السلام كان في أرض العراق ويصف صاحب كتاب معجم البلدان أرض بابل بأنها بين نهري دجلة والفرات ، وهي التي يقال لها السواد[٢] .كان لأهل بابل كثير من الآلهة فمن عبادة الأصنام إلى تأليه الشمس والقمر والكواكب ، وكان لكل مدينة رب يحميها وكان الإله (مردوخ) هو كبير الآلهة .

في هذه البيئة الوثنية عاش إبراهيم عليه السلام، لكن الله أعطاه الرشد والحقيقة العظمى ، فعرف بفكره الثاقب وقريحته الوقادة ، أن الله تعالى هو المسيطر وحده على هذا الكون .

كان والد إبراهيم عليه السلام في مقدمة من كان يعبد الأصنام ، بل كان هو الذي يصنع الأصنام ويبيعها للناس ، وبأسلوب مهذب خاطب إبراهيم عليه السلام أباه أن يترك عبادة الأصنام ، قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾الأنعام: ٧٤.

---

١. الطبري : المصدر السابق ٣٢/١ ، وفي رواية للأزرقي عن عبد الله بن حمزة السلولي قال : (ما بين الركن إلى المقام إلى زمزم قبر تسعة وتسعين نبياً جاءوا حجاجاً فقبروا هناك) ، أخبار مكة ٦٨/١

٢. ياقوت الحموي : معجم البلدان مادة (بابل) ٣٠٩/١ .

رفض والد إبراهيم ما جاء به ابنه من ترك عبادة الأصنام.فقرر إبراهيم عليه السلام أن يقيم الحجة على قومه بأنهم على غير هدى ، لذلك جاء إلى المعبد الذي فيه أصنام القوم ، فحطم جميع الأصنام بفأس كانت معه ، وجعلها قطعاً صغيرة ، وأبقى على الصنم الكبير وهو أكبر الآلهة ، وعلق الفأس بيده ، ثم غادر المعبد ، قال تعالى :﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾الأنبياء: ٥٧ – ٥٨.

عَلِمَ قومه بذلك ، وأتوا به لمحاكمته عن فعلته هذه ، وسألوه أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟ فقال لهم أن الذي حطم جميع الأصنام وكسرها هو كبيرهم فاسألوهم إن كانوا ينطقون ، وبلا وعي ولا تفكير ينزلق القوم في هذا المنزلق الذي أوقعهم فيه إبراهيم عليه السلام، فيقول بعضهم لبعض إن هذه الأصنام لا تقدر أن تنطق فكيف تطلب منا أن نسألها ، قال تعالى :﴿ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾الأنبياء: ٦٤ – ٦٧.

وهكذا وبهذه البينة أقام إبراهيم عليه السلام الحجة على بطلان عبادة الأصنام ، لأنها لو كانت آلهة حقيقية لدافعت عن نفسها ، وأصابت بالضرر من أرادها بالسوء ورغم كل ما تقدم ، وبعد كل هذا الجهد الذي بذله إبراهيم عليه السلام لثني قومه عن عبادة الأصنام ، جفاه قومه وألقوه في النار ، فجعلها الله برداً وسلاماً عليه ، قال تعالى :﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾الأنبياء: ٦٨ – ٦٩.

وفي نهاية المطاف تبرأ إبراهيم عليه السلام من أبيه ، ولم يطيب له المقام بين أهله وقومه وذهب إلى حران ، ومنها إلى فلسطين ثم إلى مصر ثم العودة إلى فلسطين ، ثم هاجر إلى مكة ، فبنى الكعبة مع إبنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام . ثم عاد إلى فلسطين

قوم موسى عليه السلام وعبادة الأصنام :

موسى عليه السلام من أنبياء الله تعالى ومن أولي العزم من الرسل ، وهارون عليه السلام أخو موسى بالنسب أرسله الله تعالى عضداً ومعيناً لموسى حين أراد أن يبعثه إلى فرعون لتبليغه رسالة رب العالمين

شرع موسى وهارون عليهما السلام بتلبية أمر ربهما وذهبا إلى فرعون وبلغاه الرسالة وطلبا منه السماح لبني إسرائيل الخروج من مصر والتوجه إلى فلسطين ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٠٥ ﴾الأعراف: ١٠٤ – ١٠٥.

بعد حوار وجدل حول العقيدة بينموسى وهارون عليهما السلام من جهة ، وبين فرعون من جهة أخرى ، ولما لم يجد الحوار نفعاً رغم محاولة موسى وهارون عليهما السلام إقناع فرعون حيث قدما له كل الحجج والبراهين ليثنوه عن رأيه الباطل ، أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن يسري بقومه ليلاً[١] . قال تعالى :﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾الشعراء: ٥٢

خرج موسى عليه السلام مع قومه فوصل ساحل البحر الأحمر (خليج السويس) ، فأدركهم فرعون وجنوده ، فأيقن قوم موسى عليه السلام أنهم هالكون ، لكن موسى عليه السلام قال لهم لا تخافوا إن معي ربي سيهديني إلى طريق النجاة ، قال تعالى :﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ ﴾الشعراء: ٦١ – ٦٢. عندها أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر ففعل ،

---

[١]. هذا الحوار بين موسى وهارون عليهما السلام وفرعون تناولته الآيات ٢٣ – ٢٩ من سورة الشعراء .

فأنشق الماء وصار طريقاً يبساً ، اقتحم فرعون وجنوده الطريق خلف موسى وقومه ، فانطبق الماء على فرعون وجنوده وأغرقوا جميعاً في البحر ، ونجى الله موسى عليه السلام ومن معه قال تعالى :﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾الشعراء: ٦٣ – ٦٦.

رغم كل التضحيات التي قدمها موسى عليه السلام لقومه لأجل انتشالهم من الوثنية وتخليصهم من ربقة العبودية ، إلا أنه كثيراً ما كانت تعاودهم وثنيتهم التي ألفوها يوم كانوا مع المصريين ، فعندما نجاهم الله تعالى من فرعون ومن الغرق في مياه البحر وهم في طريقهم إلى فلسطين ، مروا على قوم يعبدون الأصنام ، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يتخذ لهم صنماً يعبدونه ، فلامهم على ذلك ، وأبلغهم بأن هؤلآء الذين يعبدون الأصنام دينهم باطل ، وأن مصيرهم الهلاك ، قال تعالى :﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾الأعراف: ١٣٨

أمر الله تعالىموسى أن يقصد جانب الطور الأيمن لينزل عليه الكتابفمكث فيه ثلاثون يوماً صائماً ، فلما أتم موسى ذلك أمره تعالى بإتمام عشرة أيام أخرى ، وقد كلف موسى هارون أن يكون خليفته في قومه ، ولما كانت الوثنية متأصلة آثارها في نفوس القوم قاموا بعبادة العجل من دون الله ، والذي حرضهم على ذلك رجل أطلق عليه القرآن الكريم (السامري) فجاءهم بعجل مصنوع من الذهب الخالص وقال لهم هذا إلهكم وإله موسى وقد نسيه هنا وذهب لملاقاة ربه ، قال تعالى :﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ ﴾طه: ٨٧ – ٨٨. قام هارون بالنصح لهم بأن يتركوا عبادة العجل فلم يفلح ، وواصلوا عبادة العجل حتى رجوع موسى عليه السلام فعاتب أخاه هارون على هذه الفعلة التي قام بها القوم في غيابه ، فأخبره هارون بأنه حاول منعهم بشتى الوسائل إلا أنهم لم ينصاعوا إلى نصيحته ، قال تعالى :﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ

غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾الأعراف: ١٥٠.

ثم أقبل موسى عليه السلام باللوم الشديد على السامري الذي تسبب في إضلالهم ، وقال له إذهب فإن الله عاقبك بأن تقول في حياتك (لا مساس) فكان يتألم من مس أي إنسان له ، ثم ذهب موسى نحو العجل فأحرقه وأذرى بقاياه في البحر ، قال تعالى : في حق السامري والعجل : ﴿ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾ ﴾طه: ٩٧.

اما قوم موسى الذين عبدوا العجل وأغضبوا موسى عليه السلام فقال لهم رب العزة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴾الأعراف: ١٥٢.

ويبدو أن إتخاذ بني إسرائيل العجل إلهاً يعبدونه ، قد تأثروا بالمصريين الذين عاشوا معهم في مصر مدة من الزمن ، وألفوا أن يروا عبادة المصريين للعجل (أبيس) إذ كان للمصريين عناية فائقة بهذا العجل ، وكانت العجول المؤلهة إذا ماتت حنطوها كما يحنط الآدمي بما يحفظ جسمها من التلف ويدفنوها في مقبرة خاصة[١]

صفوة القول :

وهكذا إتضح لنا من كل ما تقدم أن عبادة الأصنام عند الأقوام التي مرت كانت متأصلة في نفوسهم ، وكان دور الأنبياء رائداً في بذل الجهد لإقناعهم بترك هذه العبادة الشركية ، وعبادة الله ﷻ، فمن صدق منهم بما جاء به الأنبياء وآمن به فقد نال رضا الله وأفلت من العقاب ، ومن لم يرعوِ عن عبادة الأصنام فالنار موعدهُ لا محالة .

---

١. الشيخ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٢١٨

الفصل الرابع

أسماء الأصنام وهيئاتها وأماكن تواجدها

المبحث الأول

أصنام قوم نوح

المبحث الثاني

الأصنام اللات والعزى ومناة

المبحث الثالث

أصنام جوف الكعبة وما حولها

المبحث الرابع

أصنام أخرى في بلاد العرب

المبحث الأول

أصنام قوم نوح

العثور على أصنام قوم نوح :

أصنام قوم نوح عليه السلام خمسة أصنام هي (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر) كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب ، وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم وقد بينا فيما مضى من القول ، أن أصحابها كانوا قوماً صالحين فلما ماتوا جزع عليهم ذوو أقاربهم فصنعوا خمسة أصنام على صورهم ، فكان الرجل يأتي أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن ، ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد تعظيم من القرن الأول دون أن يعبدونهم ، ثم جاء القرن الثالث فقالوا: ما عَظَّم أولونا هؤلاء إلا يرجون شفاعتهم عند الله ، فعبدوهم وعظم أمرهم واشتد كفرهم ، فبعث الله تعالى إليهم نوح عليه السلام ودعاهم إلى توحيد الله تعالىوترك عبادة الأصنام فلم يستجيبوا له ، فحصل الطوفان عقاباً لهم ، فغرقوا وغرقت أصنامهم معهم ، وجعل ماء الطوفان يشتد جريه وعبابه من أرض إلى أرض حتى قذف الأصنام إلى أرض جدَّة ، ثم نضب الماء وبقيت على الشط فسفت الريح عليها حتى وارتها[1]

وهناك العديد من الروايات حول كيفية العثور على هذه الأصنام ، ومن أشــهرها الرواية التي تقول أن (عمرو بن لحي) كان كاهناً ، وكان له رَئيٌ مــن الجــن يتعاهده ، ويوماً إقترح عليه الرَئي من الجن أن يعجل بالسفر من تهامة إلى جدة ، حيث توجد أصنام قوم نوح التي جرفتها مياه الطوفان من جبال الهند ، وطلب منه الإتيان بها إلى تهامة ، ودعوة العرب إلى عبادتها ، وقام (عمرو بــن لحــي)

---

[1]. الكلبي : الأصنام ص ٥١ .

بتلبية طلب الرئي من الجن ورحل إلى جدة وحمل الأصنام وجاء بها إلى تهامة ، ودعا العرب إلى عبادتها[١].

وفيما يأتي الحديث عن هذه الأصنام بالتتابع ، وحسب ما وردت في الآية الكريمة: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾نوح: ٢٣.

الصنم (وَد) :

الصنم (وَد) أول الأصنام الخمسة التي عبدها قوم نوح ، والوَد في اللغة : مصدر المودة ، وهو الحب يكون في جميع مداخل الخير[٢] .وقد سمي الصنم (ود) بذلك : أما لمودتهم له ، أو لإعتقادهم أن بينه وبين الباري ﷻ مودة – تعالى الله عن قبائحهم – وكان الصنم (وَد) على صورة رجل على أحسن ما يكون الرجال . وفي وصف (وَد) قال الكلبي : كان تمثال رجل كأعظم ما يكون الرجال ، عليه حلتان ، متزر بحلة ومرتدٍ أخرى ، عليه سيف قد تقلده ، وقد تنكب قوساً ، وبين يديه حَربةً فيها لواء ووفضة أي– جعبة – فيها نبل[٣]

بعد العثور على (ود) في جدة قرب الساحل حمل إلى وادي القرى بدومة الجندل ، عند عوف بن عُذرة بن زيد اللات ، ولتقديسهم للصنم (ود) وتعظيمهم له ، سمى ابنه (عبد وَد) ومن ثم سمى العرب به من بعده بهذا الاسم .

وقد ذكر أهل الأخبار أسماء العديد من الأشخاص كانت أسماؤهم ذات صلة بالأصنام مثل (عبد ود) و (عبد العزى) وغيرهم وعندما أسلموا وأصبحوا في عداد الصحابة أبدل الرسول ﷺأسماءهم فهذا عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم كان أسمه (عبد يغوث) فأبدله رسول الله ﷺبعبد الله[٤] وغيره كثير حتى اختفت الأسماء الجاهلية التي هي من هذا القبيل

---

١. الكلبي : المصدر السابق ص ٥٤

٢ . ابن منظور : لسان العرب ، مادة (ودد) ٤٥٣/٣

٣ . الكلبي : المصدر السابق ص ٥٥– ٥٦ .

٤. ابن حجر : الإصابة ٢٦٥/٢ رقم (٤٥٢٥) .

جعل عوف بن عذرة ابنه عامراً الذي يقال له عامر الأجدار سادناً للصنم (وَد) ، فلم تزل بنوه يُسدُنونه حتى جاء الإسلام ، فأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد بهدمه ، فحالت بينه وبين هدمه بنو عبد وَد وبنو عامر الأجدار ، فقاتلهم خالد حتى قتلهم فهدم (وَد) وكسره.

وكان فيمن قتل يومئذٍ رجل من بني عبد ود يقال له قطن بن شريح ، فأقبلت أمه فرأته مقتولاً فقالت[١] :

يا جامعاً جامع الأحشاء والكبدِ   يا ليت أمك لم تولد ولم تلدِ

روي أن (وَداً) كان أكبر أصنام قوم نوح ، وذكر الآلوسي أن (وداً) كان رجلاً مسلماً ، وكان محبب من قومه ، فلما مات عسكروا حول قبره وجزعوا عليه ، فلما رأى إبليس جزعهم تشبه في صورة إنسان ثم قال لهم : هل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه ؟ قالوا : نعم ، فصور لهم مثله فوضعوه في ناديهم فجعلوا يذكرونه به فلما رأى ما بهم من ذكره قال لهم : هل لكم أن أجعل لكم في منزل كل رجل منكم تمثالاً مثله يكون في بيته فيذكر به ؟ فقالوا : نعم ففعل فأقبلوا يذكرونه به وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به وتناسلوا ودرس أمر ذكرهم إياه حتى اتخذوه إلهاً يعبدونه من دون الله تعالى[٢]

وذكر ابن حجر أن الكلبي زعم أن أباه حدثه عن مالك بن حارثة الأجداري أنه قال له أن أباه كان يبعثه وهو صغير باللبن إلى (ود) فيقول له : إسق إلهك ، فيشرب مالك اللبن ويعود من حيث أتى[٣]

ويرى بعض المستشرقين إستناداً إلى معنى كلمة (وَد) بأن هذا الصنم يرمز إلى الود أي الحب وأنه صنو للإلهين (جيل) و (بحد) عند الساميين ويستندون في رأيهم هذا إلى بيت للنابغة قال فيه :

حياك وَد فإنا لا يحل لنا   لهو النساء وإن الدين قد عَزَمَا

---

١. الكلبي : المصدر السابق ص ٥٥- ٥٦

٢. الآلوسي : روح المعاني ٧٧/٢٩ ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٣٠٩/١٨

٣. ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ٢٠٩/١ ، رقم (١٠٤٢) ، والكلبي : المصدر السابق ص ٥٥ .

وهناك من يرى أن هناك صلة بين الصنم (ود) والصنم (أيروس) اليوناني ، وبالتالي فهم يرون أن الصنم (ود) صنم يوناني في الأصل إستورده العرب من هناك وعبدته[1] . وهذا الرأي يجافي الحقيقة وقد قدمنا ما يفيد عن أصل الصنم وأنه صنع في فترة موغلة في القدم

الصنم (سُواع) :

الصنم سُواع ثاني أصنام قوم نوح عليه السلام، وكان على صورة إمرأة ، ، ومن إسمه يدل على أنه إله الشر والهلاك كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين[2] . وقد حمل بعد غرقه إلى أرض يقال لها (أرهاط) من أرض ينبع ، وفي رواية أنه حمل إلى أرهاط من بطن نخلة ، حيث دفع إلى رجل من هذيل يقال له الحارث بن تميم بن سعد بن مدركة ، وقد عبدته بنو كنانة وهذيل ومزينة وعمرو بن قيس عيلان ، وكان سدنته بنو باهلة من هذيل وفيه قال رجل من العرب[3] :

تراهم حول قبلتهم عكوفاً كما عكفت هذيل على سُواع

بقي الصنم (سُواع) معبوداً عند قبائل العرب حتى ظهور الإسلام ، فأمر رسول الله ﷺ عمرو بن العاص بهدمه في السنة الثامنة للهجرة النبوية الشريفة ، وكان عمرو يقول[4] :انتهيت إليه وعنده السادن ، فقال : ماذا تريد ؟ قلت : أريد هدم سواع ، قال: ومالك وله ؟ قلت : أمرني رسول الله ﷺ بذلك ، قال : لا تقدر على هدمه ، قلت لِمَ ، قال : يمتنع ، قال عمرو : حتى الآن أنت في الباطل ويحك ! وهل يسمع ؟ وهل يبصر ؟ قال عمرو : فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته ولم يجدوا شيئاً ، ثم قلت للسادن : كيف رأيته ؟ قال السادن أسلمت لله تعالى.

---

1. الدكتور جواد علي : المفصل ٢٥٧/٦
2. الدكتور شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ٩٠/١
3. الكلبي : المصدر السابق ص ٥٧، ياقوت : معجم البلدان ، مادة (سواع)٢٧٦/٣
4. الأزرقي : أخبار مكة ١٣١/١ – ١٣٢ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٥٦٦/٣ .

ونسب بعض أهل الأخبار هدم الصنم سواع إلى (غاوي بن عبد العزى) حيث ذكروا أن هذا الصنم كان لبني سليم بن منصور فبينما هو عند الصنم سُواع إذ أقبل ثعلبان يشتدان حتى تسنماه فبالا عليه ، فقال :

أرب يبول الثعلبـــان برأســـه   لقد ذلَّ من بالت عليه الثعالـــب

ثم قال يا معشر سليم لا والله هذا الصنم لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع فكسره ولحق بالنبي ﷺ عام الفتح ، فقال النبي ﷺ: ما أسمك ؟ قال : (غاوي بن عبد العزى) ، فقال ﷺ : أنت (راشد بن عبد ربه) وعقد له على قومه(1)

ويرى المستشرق (نولدكه) : أن سُواعاً لم يكن من الأصنام الكبرى عنـــد ظهور الإسلام ، وهو في نظره من الأصنام التي لم ترد أسماؤها فـــي الأعـــلام المركبة ، ويدل عدم ورود اسمه في هذه الأعلام ، على خمول عبادته بين عرب الجاهلية(2) . إذ لم يرد أن أحداً من العرب تسمى بـــ (عبد سواع) .

الصنم (يغوث):

الصنم (يغوث) ثالث الأصنام الخمسة التي عبدها قوم نوح عليه السلام ، وقـــد حمل بعد غرقه إلى (أكَمَة) باليمن– الأكمة التل أو المكان المرتفع - يقال لهـــا مُذْحِجْ ، وقد عبدته مذحجوأهل جرش ومنوالاها ، وكـــان علـــى صـــورة أســـد مصنوعاً من الرصاص(3).

ويروى عن الصنم يغوث أن عُبَّاده كانوا يحملونـــه علـــى جمـــل أحـــرد ويسيرون معه ولا يهيجونه ، حتى يكون هو الذي يبرك ، فإذا برك ، نزلوا وقالوا : قد رضي لكم المنزل ، فيضربون عليه بناءً وينزلون حوله(4)

---

1. ابن منظور : لسان العرب ، مادة (ثعلب) ٢٣٧/١ ، هذا إذا اعتبرنا أن الثعلبان في بيت الشعر أعلاه مثنى (ثعلب) ولكن هناك من يرى أن الثعلبان ذكر الثعلب،والأنثى ثعلبة ، ابن حجر : الإصابة ٤٨٢/١ رقم (٢٥١٧) .
2. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٢٥٨/٦
3. الزمخشري : تفسير الكشاف ٦٢٩/٤
4. القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٣٠٩/١٨

ونجد بين أسماء عرب الجاهلية عدد من الرجال تسموا بـ (عبد يغوث) من قريش ومذحج وهوازن وكان لدريد بن الصمة أخ أسمه (عبد يغوث) مما يدلل على أنهم كانوا يعظمون الصنم ويقدسونه

وذكر أن (أعلى وأنعم) وهما من طيء ، وأهل جرش من مذحج ، أخذوا الصنم يغوث فذهبوا به إلى مراد فعبدوه زمناً ، ثم أن بني ناجية أرادوا نزعه من (أعلى وأنعم) ففروا به إلى الحصين أخي بني الحارث بن كعب من خزاعة واحتفظوا به بعد أن وقعت الهزيمة في مراد .

وفي الحرب التي وقعت بين (بني أنعم) و(غطيف) حمل عبدة (يغوث) صنهم معهم ، وحاربوا مستمدين منه العون والمدد وفي ذلك يقول الشاعر[1] :

وسار بنا يغوث إلى مراد   فناجزناهم قبل الصباح

ويبدو أن معظم عبدة الأصنام من القبائل العربية كانوا يحملون أصنامهم معهم في الحروب ليستمدوا منها العون لدحر الأعداء والإنتصار في المعركة ، لذلك وجدنا أن القبائل التي تخسر المعركة ويؤسر أفرادها ، يؤسر معها الأصنام التي كانوا يحملونها معهم ، وقد بينا ذلك فيما مضى من القول

الصنم (يعوق):

الصنم (يعوق) رابع أصنام قوم نوح عليه السلام،حمل بعد غرقه إلى مالك بن مرثد بن جشعم بن حاشد بن حمدان ، فكانبقرية يقال لها (خَيوان) عبدته غمدان وخَولان ومن والاها من القبائل في اليمن[2].

كانت صورته على شكل فرس[3] ، ولم يسمع بأن العرب سمت باسم (عبد يعوق) على خلاف الأصنام الأخرى التي سمت بها ،وربما كان مرد ذلك أن

---

[1]. ياقوت الحموي : معجم البلدان مادة (مراد) ٤٣٩/٥ ، وروى صاحب كتاب المحبر ص ٣١٧ ، أن (أنعم) هربت بالصنم يغوث إلى نجران فأقروه عند بني النار من الضباب من بني الحارث بن كعب واجتمعوا عليه جميعاً .

[2]. الكلبي : المصدر السابق ص ٥٧ .

[3]. الزمخشري : المصدر السابق ٦٢٩/٤

(يعوق) لم يكن من الأصنام المهمة ، أو لأن عبادته قد تضاءلت وانحصرت في نطاق ضيق وفي قبائل محدودة ، نتيجة قربهم من صنعاء ، واختلاطهم بحمير الذين كانوا على اليهودية أيام تهود (ذي نواس) فتهودوا معه[١]

ورد اسم يعوق في بيت شعر نسب إلى مالك بن نبط الهمداني الملقب بذي المعشار وهذا نصه[٢]

يريش الله في الدنيا ويبري ‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏ ولا يبري يعوق ولا يريش

<u>الصنم (نَسر) خامس الأصنام :</u>

الصنم (نَسر) خامس أصنام قوم نوح عليه السلام حمل بعد غرقه إلى رجل من ذي رُعين يقال له معد يكرب ، فكان بموضع يقال له (بلخع) من أرض سبأ فتعبدته حمير ومن والاها من القبائل فلم تزل عبادته حتى تهود ذي نواسفتهودوامعه[٣]

وذكر اليعقوبي أن نسراً كان لحمير وهمدان وكان منصوباُ في صنعاء[٤] ، ولم يحدد مكانه فيما حدد محمد بن حبيب مكانه فقال أنه كان في قصر غمدان من أرض صنعاء باليمن[٥]

وذكر الزمخشري في كشافه أن الصنم نسر كان على هيئة نسر ، وهو طائر معروف من الطيور الجارحة ، جمعه أنسر في العدد القليل ، ونسور في العدد الكثير[٦]

. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٦ / ٢٦٣
[٢]. ابن هشام : السيرة النبوية ٨٢/١ .
[٣]ـ الكلبي : المصدر السابق ص ٥٨
[٤]. اليعقوبي : التاريخ العام ٢٢٥/١
[٥]. محمد بن حبيب : المحبر ص ٣١٧
[٦]. الزمخشري : المصدر السابق ٦٢٩/٤ ، ابن منظور : اللسان ٢٠٤/٥

وقد وجدت أصنام كثيرة على صورة نسر منحوتة على الصخر خاصة في أعالي الحجاز مما يدلل على أنالأصنام التي كانت صورتها على هيئة (نسر) كانت معروفة عند العرب قبل الإسلام ولم تكن مقتصرة على الصنم (نســـر) أحد أصنام قوم نوح عليه السلام[1].

وأورد ابن منظور في لسان العرب شعراً للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه يمدح فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلمقال[2]

بل نُطْفه تَركبُ السَّفين وقــد   أَلْجَمَ نَسْــراً وأهلــهُ الغــرقُ

وهكذا بقيت أصنام قوم نوح تعبد في الأرض على مر العصور والأجيـــال حتى بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فأمر بهدمها جميعاً

---

[1]. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٣٦٤/٦

[2]. ابن منظور : لسان العرب ، مادة (نسر) ٢٠٤/٥

المبحث الثاني

الأصنام اللات والعزى ومناة

قصة الغرانيق العُلى :

اللات والعزى ومناة من الأصنام المهمة والمشهورة عند العرب قبل الإسلام ، وقد اشتهرت عبادتها وذاع صيتها . وهناك من يربط بين عبادة النجوم والكواكب التي عرفها العرب خاصة عرب الجنوب وبين عبادة الأصنام فكانوا يرجعون بآلهتهم الصنمية إلى ثالوث مقدس فالصنم (ود) هو القمر والصنم (اللات) هو الشمس والصنم (العزى) هو الزهرة .

وذكر الأزرقي أن اللات والعزى ومناة في كل واحدة منهنَّ شيطانه تكلمهم وتظهر للسدنة وذلك من صنع إبليس وأمره[١]

وأورد القرطبي في تفسيره ما ذكره بعض المفسرين من إعتقاد البعض أن إسم اللات أخذه المشركون من إسم الله ، وأن إسم العزى من العزة ، وأن إسم مناة من مَنَى الله الشيء إذا قدره[٢] . وكانت قريش عندما تطوف بالكعبة تقول :

واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى
فإنهنَّ الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى

وكانوا يقولون عنهنَّ أنهنَّ بنات الله وهنَّ يشفعن إليه فلما بعث رسول الله ﷺأنزل عليه ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ النجم: ١٩ – ٢٣.

---

١. الأزرقي : المصدر السابق ١/١٠٠

٢. القرطبي : المصدر السابق ١٧/١٠٠

وفي اللات والعزى ومناة روايات وأقاصيص كثيرة كلها مكذوبة تسربت إلى كتب التفسير والحديث والتاريخ ، فعندما نزلت سورة النجم ، قرأها رسول الله ﷺ في نادٍ من أندية قريش كثير أهله ، حتى إذا ما وصل في قراءته إلى قوله تعالى :﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾النجم: ١٩ – ٢٠. تقول الرواية ألقى الشيطان على لسانه ﷺ: (وتلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) ففرح المشركون بذلك ، ولما كان الرسول ﷺ معصوماً في التبليغ من ربه ، فإن ما ورد في رواية (الغرانيق) لم يصمد أمام النقد العلمي ، فأبان المحققون زيفها وكذبها ، إذ لو كان للشيطان مثل هذه القدرة على الإلقاء ، لما بقي لأحد من بني آدم قدرة في طاعة الله تعالى . وفيما يأتي الكلام عن هذه الأصنام الثلاثة التي شغلت مساحة مهمة في كتب التفسير والحديث والتاريخ .

الصنم اللات :

اللات من الأصنام التي عبدها عرب الجاهلية كانت بنخلة تعبدها قريش ، وقيل كانت بالطائف لثقيف ، وكان سدنتها من ثقيف بنو عتاب بن مالك ، وكانت صخرة مربعة بيضاء، بنوا عليها بيتاً. وعرف البيت (بيت الربة) ، ويقصدون بهااللات ، لأنها أنثى في نظرهم ، وكانت قريش وجميع العرب تسمي (زيد اللات) و (تيم اللات) و (وهب اللات) وتأتي هذه الأسماء من خلال تقديسهم وتعظيمهم للربة اللات[1]

كانت ثقيف إذا قدموا من سفرٍ توجهوا إلى بيت اللات أولاً للتقرب إليه وشكره على سلامتهم ثم بعد ذلك يذهبون إلى بيوتهم[2]

يقول الشاعرِ عمرو بن الجعيد في اللات[3] :

فإني وتركي وصل كأسٍ لكالذي تبرأ من لاتٍ وكان بدينها

---

[1]. الكلبي : المصدر السابق ص ١٦ . الزمخشري : المصدر السابق ٤/٤٢٢ ، محمد بن حبيب : المحبر ص ٣١٥

[2]. ابن منظور : لسان العرب ٢/٣٨٨ .

[3]. الكلبي : المصدر السابق ص ١٦

يذكر الأزرقي في سبب تسمية الصخرة باللات ، أن رجلاً مما مضى ، كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن إلى الحجاج إذ مروا فيلتُ سويقهم – السويق : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة أو الشعير ويلت بالزيت أي يخلط ، وسُمي سويقاً لإنسياقه في الحلق – فلما مات فقده الناس ، فقال لهم(عمرو بن لحي) إن ربكم كان اللات قد دخل في جوف الصخرة ، فعكفوا من يومها على عبادتها[1]

اما أبو السعود فقدذكر في تفسيره أن حجر اللات كان على صورة ذلك الرجل الذي قبر تحته ، وهو الذي كان يلت السويق فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه[2]

واختلف في إسم الرجل الذي كان يلت السويق فقيل هو رجل من ثقيف يقال له (صرمة بن غنم) وقيل كان أسمه (عامر بن الظرب العدواني)[3]

ويظهر من وصف أهل الأخبار أن بيت اللات كان على طراز البيت بمكة ، فكان يكسى كل عام كسوة وأن ثقيف اتخذت له سدنة وخدماً يقومون بحراسة البيت وخدمته وتنظيفه على غرار ما كان في مكة وفي بيوت الآلهة الأخرى ، وكان حول بيت اللات فناء ثم أصبح الفناء حرماً معظماً عندهم ، فلا يجوز قطع اشجاره ، وصيد حيوانه ، ومن دخله كان آمناً ، ويوجد تحت اللات حفرة يقال لها (غبغب) تحفظ بها الهدايا والنذور والأموال والحلي التي كانت تقدم إلى الصنم اللات .وكانوا يقسمون باللات كما كانوا يقسمون بالأصنام الأخرى ، وينسب إلى أوس بن حجر وهويحلف باللات[4] :

وباللات والعزى ومن دان دينها　　　وبالله إن الله منهنَّ أكبر

. الأزرقي : المصدر السابق ١٢٦/١

٢. أبو السعود : تفسير القرآن المعروف بـ (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم١٥٥/٦

٣. القرطبي : المصدر السابق ١٠٠/١٧ ، الآلوسي : روح المعاني ٥٥/٢٧ .

٤. محمد بن حبيب : المحبر ص ٣١٥ ، الكلبي : المصدر السابق ص ١٧ ، ياقوت : معجم البلدان ، مادة اللات ،٤/٥ .

وتختلف الروايات في حقيقة اللات فهل كانت اللات صخرة تعبد من دون الله هكذا مجرد صخرة ؟ أم أن الذي كان يعبدهو ذلك الرجل الـذي كـان يلـت السـويق للحجاج؟

إن الذي يترجح لدينا أن اللات كان رجلاً يخدم الأصنام وكان يلت السويق على صخرة ويعطيه للحجاج فلما توفي دفن في موضعه الذي كـان يلـت فيـه السويق ثم عبد من دون الله .

وبعد إسلام ثقيف أمر رسول الله ﷺبهدم اللات – يقول الطبري[1] : فبعث الرسول ﷺأبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم اللات فخرجا مع القوم حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرةأن يقدم أبا سفيان فأبى ذلك أبو سفيان وقـال لـه : ادخل أنت على قومك وأقام أبو سفيان بماله بذي الهرم فلما دخل المغيرة بن شعبة بيت اللات علاها يضربها بالمعول وقام قومه دونه خشية أن يرمـى أو يصـاب، وخرج نساء ثقيف حسراً يبكين عليها ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهاً لك ! واهاً لك ! فلما هدمها المغيرة أخذ مالها وحليها ومتاعها وأرسله إلـى أبي سفيان وكان رسول الله ﷺ قد أمر أبا سفيان أن يقضي من مال الـلات ديـن عروة والأسود إبني مسعود فقضى منه دينهما

وهناك رواية أخرى تقول أن ثقيفاً سألوا رسول الله ﷺ أن يترك (اللات) مدة من الزمن فأبى رسول الله ﷺ، ثم سألوه ألا يهدموا أصنامهم بأيديهم ، فأجابهم إلى ذلك ، فأرسل رسول الله ﷺالمغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها ، وأخرج أموالها وحليهامن بيت اللات ، وأرسلها إلى رسول الله ﷺ[2]

وفي اللات قال الشاعر[3] :

لا تنصروا اللات إن الله مهلكهـا وكيف ينصركم من ليس ينتصـر

---

[1]. الطبري : المصدر السابق ٩٩/٣ وما بعدها ، النويري : نهاية الأرب ٦٤/١٨

[2] . ابن حزم : جوامع السيرة النبوية ص ٤٥ ، النويري : المصدر السابق ٦٤/١٨

[3]. القرطبي : المصدر السابق ١٠٠/١٧

الصنم العزى (كعبة غطفان) :

كانت العزى بوادٍ من نخلة الشامية ، يقال لها (حُراض) عن يمين الذاهب إلى العراق من مكة ، وكانت من أعظم الأصنام عند العرب عامة، وقريش خاصة .

وذكر الإخباريون أنه كان للعزى بيت أطلق عليه (كعبة غطفان) كانوا يضاهئون به الكعبة الشريفة وكانوا يزورونه ويهدون له ويتقربون إليه بالذبائح ، وكانوا يسمعون فيه الصوت .

وكانت قريش قد حمَت لها شِعباً من وادي (حُراض) يقال له (سُقام) يضاهون به الحرم المكي ، وكان لها منحرينحرون فيه هداياها يقال له (غبغب)، وكان سدنتها بنو شيبان بن جابر بن مرة ، وكان آخر سادن لها قبل هدمها (دُبية بن حَرمِيّ السلمي) .

ولم تكن قريش ومن أقام معها من العرب بمكة ،يعظمون شيئاً من الأصنام إعظامهم للعزى[1]، ولتقديسهم للعزى كانوا يقسمون بها ، ويتسمّون بها أيضاً، ومن تلك الأسماء : (عبد العزى بن كعب) و (عبد العزى بن قصي) و(عبد العزى بن عبد المطلب) . وكان عبادها يتصورون أنها أماً ولها إبنتان ، وأرادوا بهما (اللات) و(مناة).

نسب أهل الأخبار عبادة العزى إلى عمرو بن لحي ، جرياً على عادتهم في نسبة عبادة الأصنام والأوثان والأنصاب إليه ، كما نسبوا إليه أنه قال[2] : (أن ربكم يتصيف باللات لبرد الطائف ، ويشتو بالعزى لحر تهامة) .

كانت قريش تستعين بأصنامها في الحروب ضد أعدائها ، ففي السنة الثانية للهجرة النبوية الشريفة ، حيث وقعت معركة أحد بين المسلمين والمشركين ، وأنكسر فيها المسلمون وقد أشرف أبو سفيان على المسلمين يوم كان مشركاً فقال للمسلمين : أفي القوم محمد ﷺ ؟ فقال رسول الله ﷺ: (لا تجيبوه) ، ثم قال أبو

---

[1]. الكلبي : المصدر السابق ص ١٧ وما بعدها .

[2]. الأزرقي : المصدر السابق ١٢٦/١

سفيان : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ ثلاثاً ، فقال رسول الله ﷺ: (لا تجيبوه) ، ثم قال أبو سفيان : أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثلاثاً ، فقال رسول الله ﷺ: (لا تجيبوه) ، فالتفت أبو سفيان إلى أصحابه فقال لهم : أما هؤلاء فقد هلكوا ولو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمر بن الخطاب نفسه فقال لأبي سفيان : كذبت يا عدو الله قد أبقى الله لك ما يخزيك . فقال أبو سفيان : أعلُ هُبل أعلُ هُبل ، فقال رسول الله ﷺ: (أجيبوه) . قالوا: ما نقول؟ قال ﷺ قولوا له : (الله أعلى وأجل) . فقال أبو سفيان: (ألا لنا العزى ولا عزى لكم) فقال رسول الله ﷺ: (أجيبوه) قالوا : ما نقول له ؟ قال ﷺ قولوا له :

(الله مولانا ولا مولى لكم)[1].

وقد اختلف في أمر العزى وتفرق الرواة والباحثون آراء بصدد حقيقتها ، وبالإمكان إجمال تلك الآراء في الآتي[2] :

الأول : ما رواهُ ابن عباس ﷺ أنه قال : (العزى شيطانة) .

والثاني : ما ورد عن سعيد بن جبير أنه قال : (العزى حجر أبيض كانوا يتقربون إليه بالعبادة) .

والثالث : أنها شجيرات كانوا يتقربون إليها بالعبادة ، وعبادة الشجر كان معروفاً عند العرب .

ولم تزل العزى كذلك حتى بعث الله نبيه محمد ﷺ فعابها وغيرها من الأصنام ، ونهاهم عن عبادتها جميعاً ، فاشتد ذلك على قريش ، وكان من تداعيات ذلك ، أن (أبي أحيحة) وهو سعيد بن العاص بن أحيحة ، وكان قد مرض مرض الموت فدخل عليه (أبو لهب) يعوده فوجده يبكي ، فقال له : ما يبكيك يا أبا أحيحة ، أمن ألم الموت تبكي ولابد منه ؟ . قال : لا . ولكني أخاف أن لا تعبد

---

[1]. الطبري : المصدر السابق ٥٢٦/٢ .

[2]. القرطبي : المصدر السابق ٩٩/١٧ ، محمد بن حبيب : المحبر ص ٣١٥ .

العزى بعدي ، فقال له ابو لهب : والله ما عبدت لأجلك ولا تترك عبادتها بعدك لموتك ، فقال أبو أحيحة : الآن علمت أن لي خليفة[1]

بعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة النبوية الشريفة ، بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ، وقال له : (آت بطن نخلة تجد ثلاث سمرات (شجرات) فأعضد الأولى) ، فأتاها خالد بن الوليد فعضدها ، وجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له : (هل رأيت شيئاً) قال لا ، فقال رسول الله ﷺ: (فأعضد الثانية) ، فأتاها وعضدها ، ثم عاد إلى رسول الله ﷺ، فقال له ﷺ : (هل رأيت شيئاً ؟) قال : لا ، فقال رسول الله ﷺ: (أعضد الثالثة) ، فأتاها خالد فإذا بامرأة حبشية نافشة شعرها ، واضعة يديها على عاتقها وتصرف بأنيابها ، وخلفها سادنها (دبية بن حرمي السلمي) . فلما نظر دبية إلى خالد قال :

أعزا شدي شدة ولا تكذبي   أعزا ألقي الخمار وشمري
أعزا إن لم تقتلي المرء خالد   تبوئي بإثم عاجلٍ وتَنصَّري

فقال له خالد

يا عز كفرانك لا سبحانك   إني رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها خالد بن الوليد ففلق رأسها فإذا هي حُمَة ، ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن ثم أتى النبي ﷺ فقال له : (تلك العزى ولا تعبد العزى أبداً)[2]

وفي إحدى روايات الطبري أن خالداً وبعد قتله الحبشية والسادن دبية حطم العزى وهدم بيتها وأخذ ما به من حلي وأموال ومتاع ، وأتى به رسول الله ﷺ فقال ﷺ: (تلك العزى ولا تعبد العزى أبداً)[3]

---

1. الكلبي : المصدر السابق ص ٢٣
2. الأزرقي : المصدر السابق ١/١٢٧ – ١٢٨ ، الكلبي : المصدر السابق ٢٥ – ٢٦
3. الطبري : المصدر السابق ٣/٦٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٤/٣١٦

وذكر الأزرقي في أخبار مكة أن خالداً بن الوليد بعد أنِ أكمل مهمته وألتقى برسول الله ﷺ، قال للرسول ﷺ: يا رسول الله : الحمد لله الذي أكرمنا بك وأنقـذنا بك من الهلكة ، لقد كنت أرى أبي يأتي العزى بخير ماله من الإبل والغنم فيذبحها لها ، ويقيم عندها ثلاثاً ، ثم ينصرف إلينا مسروراً . ونظرت إلى ما مات عليـه أبي ، وإلى ذلك الرأي الذي كان يعاش في فضله ، وكيف خدع حتى صار يـذبح لما لا يسمع ولا يبصر ، ولا ينفع ولا يضر ، فقال رسول الله ﷺ: (إن هذا الأمر إلى الله ، فمن يسره للهدى تيسر له ، ومن يسره للهلكة كان فيها)[1]

وجماع القولفي أمر العزى نرى أنها لم تكن شيطانة ، كما أنها لـم تكـن شجيرات ، وإنما كانت صنماً منحوتاً من الحجر الأبيض ، أما أمر الحبشية التـي قتلها خالد بن الوليد ، وزعموا أنها شيطانة ، فلربما كان دُبية السادن يخفيها فـي مكان قريب من العزى ، وربما كانت هي التي تجيب على أسـئلة عابـديها مـن الزوار، فيتوهمون أن العزى هي التي تجيب ، أما الشجيرات فبحكم كونها قريبـة من العزى ، فقد قدسها الناس لأنهافي حرم العزى ، وهو مما اعتاده الناس فـي تلكم الأيام[2]

الصنم مناة :

الصنم مناة من أقدم الأصنام كانت تعبده خزاعـة وهـذيل ، كـان منصوباً على ساحل البحر الأحمر من ناحية المُشَلَّل بقديد بين المدينـة المنـورة ومكة المكرمة ، وانفرد اليعقوبي بالقول أن مناة كان منصوباًبفدك مما يلي ساحل البحر ، والرأي الأول هو الراجح .

وكان العرب يعظمونه ويذبحون له ، ولم يكن أحد أشد إعظاماًمن الأوس والخزرج له ، وكانوا يحجون ،فإذا طافوا بالبيت أفاضوا من عرفات وفرغوا من

---

[1]. الأزرقي : المصدر السابق ١٢٨/١

[2] . كيلان خضير العزاوي : مصطلحات وأحاديث وروايات من عالم الشيطان ، حرف الشين ، مادة العزى ، ص ٢١٢

منى، لم يحلقوا رؤوسهم إلاّ عند الصنم مناة ،فيقيمون عنده لا يرون أن لحجهم إكتمالاً وتماماً إلاَّ بذلك[1]

والإخباريون في خلاف حول هيئة الصنم مناة ، فمنهم من قال : أن الصنم مناة كان صخرة ، وأن دماء النسائك كانت تمنى عندها ولذلك سميت مناة لكثرة ما يراق فيها من الدماء ، ومنهم من قال : أن الصنم مناة كان على هيئة تمثال نحت من الحجارة[2] والذي نميل إليه أن الصنم مناة كان تمثالاً منحوتاً من الحجارة.

وكان بعض العرب من عبدة مناة يستمطرون عنده الأنواء تبركاً به ،فمناة عندهم(مناءة) من النوء[3]، ولشدة حبهم لمناة فقد تسمىبعضهم بـ (عبد مناة) و(زيد مناة) و (عوذ مناة) و (سعد مناة) و (أوس مناة) وغير ذلك من الأسماء .

وكان لمناة بيت مثل بيوت الأصنام الأخرى ، وكانت القبائل تتجنب أن تجعل ظهورها على مناة إعظاماً لها ، ولذلك كانت تتحرف حيث لا يكون الصنم مناة إلى ظهورها ، وفي ذلك يقول الشاعر الكميت بن زيد[4] :

وقد آلت قبائل لا تولي مناة ظهورها متحرٌ فينا

وبعد فتح مكة في العام الثامن من الهجرة النبوية الشريفة بعث رسول اللهﷺعلياً ﷺ لهدم الصنم مناة وأخذ ما كان في بيت الصنم مناة من حلي ومتاع وأموال ، فقام علي ﷺ خير قيام في تنفيذ هذه المهمة ، فهدم البيت وكسر الصنم وحرقه وأخذ ما في البيت ، وكانفيما أخذه سيفين كان الحارث بن أبي شمر

---

[1]. الكلبي : المصدر السابق ص ١٣– ١٤ ، الأزرقي : أخبار مكة ١/١٢٥ ، اليعقوبي : التاريخ ١/١٢٥ ،

[2]. القرطبي : المصدر السابق ١٧/١٠١ ، الآلوسي : روح المعاني ٢٧/٥٥ ، الأزرقي : المصدر السابق ١/١٢٥ ، الطبرسي : جامع البيان في تفسير القرآن ٩/١٧٦

[3]. الزمخشري : تفسير الكشاف ٤/٤٢٣.

[4]. ابن هشام : السيرة النبوية ١/٨٨ .

الغساني ملك غسان قد أهداها للصنم مناة يقال لأحدها (مِخذماً) وللآخر (رسوباً) وهما اللذان ذكرهما علقمة الفحل في شعره فقال

مُظاهرُ سِرْ بَالَي حديدٍ عليهما عقيلاً سيوفٍ مِخْـذَمٌ ورَسـوبُ

فوهبهما رسول الله ﷺ لعلي ﷺ، ويقال أن ذو الفقار سيف علي ﷺ أحدهما[1].

وفي رواية للواقدي أن الذي هدم الصنم مناة هو سعد بن زيد الأشهلي هدمه سنة ثمانٍ للهجرة النبوية الشريفة ، وفي رواية أخرى أن الذي هدم الصنم مناة هو أبو سفيان[2] .والذي يترجح لدينا أن الذي هدم الصنم مناة هو علي ﷺ.

الكلبي : المصدر السابق ص ١٥

٢. ابن هشام : المصدر السابق ٨٨/١

المبحث الثالث

أصنام جوف الكعبة وما حولها

مكة والكعبة في التاريخ :

حافظ الحجاز و- مكة - جزءاً منه على استقلاله السياسي منذ أقدم العصور ، فلم يعبث بحريته الملوك الفاتحون ، وكان من أثر تمتع أهل الحجاز باستقلالهم طوال حياتهم ، أن ظهرت فيهم طبائع خاصة بهم من عراقة أصلهم ، وشرف آبائهم ، وشهامتهم ، ولغتهم التي حافظت على نقائها وصفائها[1]

كانت مكة مجرد محطة للقوافل التجارية ، وسوقاً للتبادل التجاري بين الآتين من جنوب شبه الجزيرة العربية والمنحدرين من شمالها . وظلت مكة كذلك حتى كان إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر أول من سكنها عندما تركهما إبراهيم عليه السلام في ذلك الوادي المجدب داعياً ربه بقوله : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾إبراهيم: ٣٧

وتشير الروايات التاريخية أن الماء لما نَفَدَ عند هاجر وإبنها إسماعيل عليه السلام بادرت تطلبه بين جبلي الصفا والمروة ، فبعث الله ﷻ جبريل عليه السلام فضرب الأرض بجناحه وفجر ماء زمزم تحت أقدام إسماعيل عليه السلام، وفي رواية للطبري أن جرهم كانت يومئذٍ بوادٍ قريب من مكة ، وعندما نبعت عين زمزم جاءوا إلى هاجر فقالوا لها لو شئت كنا معك ؟ فقالت لهم : نعم ، ومن يومها احتضنت جرهم إسماعيل عليه السلام فنشأ بينهم وتعلم العربية وتزوج منهم وخلف ذرية[2]

ومن ذلك الوقت أصبحت مكة عبارة عن قرية صغيرة ، في وادٍ ضيق طويل مجدب على مقربة من ماء زمزم ، ثم أمر الله تعالى إبراهيم وابنه إسماعيل

---

[1]. الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ٤٤/١ .

[2]. الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٢٥٨/١ ، الأزرقي : أخبار مكة ٥٧/١ .

عليهما السلام أن يرفعا القواعد من البيت ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾البقرة: ١٢٧. والكعبة الشريفة التي رفع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قواعدها ، هي أول بيت وضع للناس في الأرض لعبادة الله ﷻ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾آل عمران: ٩٦

لقد اختلفت الروايات في أول من بنى البيت الحرام ، فقيل الملائكة ، وقيل آدم عليه السلام، وقيل خلق الله تعالى البيت قبل خلق الأرض بألف عام ، ثم دحيت الأرض من تحته ، والرواية المشهورة أن آدم عليه السلام لما أهبطهُ الله تعالى إلى الأرض سار إلى مكة ، ودعا وتضرع إلى الله تعالى حتى يأذن له ببناء البيت المعمور الذي هو مطاف الملائكة ، فأنزل الله تعالى على آدم مثال ذلك البيت على شكل سرادق من نور ، فوضعه مكان البيت الحرام ، فكان آدم عليه السلام يتوجه إليه ويطوف حوله ، ثم لما توفي آدم عليه السلام تولى شيث عليه السلام أمر بناء الكعبة من الحجر والطين على الشكل المذكور ، ثم لما خُرِّبَ البيت بفعل طوفان نوح عليه السلام وامتد الزمان ، وانتهت النبوة إلى إبراهيم الخليل عليه السلام، قام إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام برفع القواعد من البيت كما بيناه ، ثم شرعا بعد ذلك المناسك والشعائر[1]

وتشير الروايات التاريخية أن أول ما بني البيت الحرام ، كلن عبارة عن بيت صغير مربع يحيط بفضاء غير مسقوف ، وقد أطلق عليه الكعبة لأنه يشبه المكعب. كانت الكعبة تكسى بالقباطي – ثياب بيض يُؤتى بها من مصر – ثم كسيت بالبرود – ضرب من الثياب يُؤتى به من اليمن – وأول من كساها بالديباج – الحرير الغليظ – عبد الله بن الزبير بن العوام ، وقيل الحجاج بن يوسف الثقفي ، وتبلغ مساحة الكعبة اليوم عند قاعدتها (١٤٥ م^{٢}) وارتفاعها (١٤ م) .

وتسمى الكعبة بالبيت، والبيت الحرام ، وبيت الله ، والبيت العتيق ، والقبلة،

وقد جعل الله تعالى لها من التقدير والإحترام ما لم يجعله لمكان آخر على

---

[1] . الشهرستاني : الملل والنحل ٢/٢٣٣

وجه الأرض ، فأمر الله تعالى باستقبالها في الصلاة ، وجعل الطواف حولها ركن من أركان الحج . وبعد وفاة إسماعيل عليه السلام ومن بعده أولاده ، انتقلت ولاية البيت الحرام إلى جرهم حتى اتسع سلطانهم وعظمت شوكتهم ، وفي أواخر القرن الثالث للميلاد ، نشأ جيل استخف بالبيت الحرام فعاثوا في الأرض الفساد ، فاستحلوا أموال الكعبة ، واضطهدوا من دخل إلى مكة من غير أهلها فسلط الله عليهم قبيلة خزاعة بزعامة (ربيعة بن الحارث) فأجلت جرهم وانتزعت منها السيادة على البيت ، ثم تولى البيت فيما بعد (عمرو بن لحي الخزاعي) فسار سيرة سيئة ، فأحدث كثيراً من الفساد ، وكان لإدخاله الأصنام إلى مكة وفرض عبادتها على قومه ، قد أشاع الوثنية ومظاهر الشرك في بلاد العرب عامة ومكة خاصة[١]

استمرت خزاعة في بسط سيطرتها على البيت الحرام فحولته إلى بيت لعبادة الأصنام ، حتى قويت قريش وتغلبت عليها بقيادة (قصي بن كلاب) وبذلك انتقلت السيادة على مكة والبيت الحرام إلى قصي بن كلاب الذي أحسن إدارة الأمور ، فبنى دار الندوة وأوجد المناصب الإدارية ، ووزعها بين بطون قريش ، ليحفظ لها وحدتها ، ثم قام بتنظيم شؤون مكة ، فحفر الآبار وأباح بناء البيوت في ساحة الكعبة الشريفة بعدما خط لها ما يوازي المطاف ، فساد الأمن وعَمَّ الاستقرار والرخاء ، وتكاثرت وفود القبائل إلى مكة في كل عام يحجون ويتاجرون .

ثم انتهت الرئاسة فيما بعد إلى (عبد المطلب جد النبي محمد ﷺ) فسار فيها سيرة حسنة ، حيث دعا القبائل إلى حلف الفضول لإنصاف المظلوم ، ونشر العدل، كما أعاد حفر بئر زمزم بعد أن خفيت معالمها ، وفي عهده وتحديداً سنة (٥٧١ م) شهدت مكة حدثين عظيمين ، الأول هزيمة إبرهة الحبشي الذي أراد هدم الكعبة ، والثاني : ولادة النبي محمد ﷺ ومع بعثة النبي ﷺ والاصنام مازالت تعبد في الكعبة وحولها في مكة وبلاد العرب كافة ، بدأت التغييرات الكثيرة في

---

١. محمود محمد حمو : مكة المكرمة تاريخ ومعالم ص ٩

مكة المكرمة ، فقد دعا النبي محمد ﷺ إلى عبادة الله ﷻ وحده ، وترك عبادة الأصنام[1]

تعظيم المشركين للكعبة :

كان المشركون رغم شركهم بالله تعالى يعظمون الكعبة الشريفة ، ويذكر الإخباريون أن أهل مكة بشكل خاص كانوا من شدة تعظيمهم للبيت أن من علا الكعبة من العبيد فهو حر فكانوا كما يقول الثعالبي[2] : (لا يرون الملك من علاها ولا يجمعون بين عز علوها وذل الرق) ، كما كانوا لا يبنون بنياناً مربعاً بمكة تعظيماً للكعبة ، وكثيراً ما كانت السيول الجارفة تغرق الكعبة وتهدمها فكان أهل مكة حريصين في كل مرة على إعادة بناء الكعبة محافظين على أسسها وشكلها ، وكانوا يلمسون الحجر الأسود للتبرك به وكان للحجر الأسود أهمية خاصة فكان أقدس شيء ، ويظهر ذلك عندما تنافسوا على شرف وضعه في مكانه عندما أرادوا بناء الكعبة قبل المبعث النبوي الشريف ، حتى أنه يمكن أن يقال أن أهميته كانت فوق أهمية الأصنام التي كانوا يعبدونها ،والدليل على ذلك عدم ورود أية إشارة إلى وقوع اختلاف أو تنازع بشأن إعادة أي صنم من الأصنام إلى موضعه ، ولو كانت أصنامهم أقدس من الحجر الأسود ، لوقع لهم ذلك الاختلاف[3]

كما كان من شدة تعظيمهم للكعبة أنهم كانوا لا يدخلونها بنعالهم بل كانوا يخلعون نعالهم قبل الدخول إليها . وذكر الأزرفي أن قريشاً لما فرغت من بناء الكعبة كان أول من خلع نعليهوخفيه ولم يدخل بهما الوليد بن المغيرة الخزرجي إعظاماً لها فجرا ذلك سنة لهم . ويروى في هذا الصدد أن فاختة ابنة زهير بن الحارث وهي أم حكيم بن حزام ، دخلت الكعبة وهي حامل فأدركها المخاض فيها فولدت (حكيماً) في الكعبة فحملت في نطع- بساط من الجلد - وأخذ ما تحت مثبرها- مكان ولادتها - خارج الكعبة[4]

---

1. محمود محمد حمو : المصدر السابق ص ١٠ وما بعدها .
2. الثعالبي : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص ١٨
3. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٤٣٣/٦
4. الأزرقي : المصدر السابق ١٧٤/١

وذكر السهيلي أن الجاهليين من شدة تعظيمهم للكعبة وكذا لبيوت الأصنام فكـــانوا يبنونها بمال حلال ، فعندما أرادت قريش إعادة بناء الكعبة نـــادى منـــاديهم : لا تدخلوا في بنائها ما كسبتم إلا طيباً ، لا تدخلوا فيه من بغي ، ولا بيع ربـــا ، ولا مظلمةأحد منالناس(١)

تطهير الكعبة وما حولها من الأصنام :

ظلت الكعبة الشريفة في مكة المكرمة مقدسة عند أهل مكة وعند غيـــرهم من العرب رغم أن المشركين نصبوا فيها الأصنام والأوثان والأنصـــاب وأمـــروا الناس بعبادتها ، لكن سطوة وسيطرة المشركين هذه لم تدم كما أرادوا لها ، فقـــد ظهر الإسلام في الجزيرة العربية وتم فتح مكة في السنة الثامنة للهجـــرة النبويـــة الشريفة ، فأزال رسول الله ﷺالأصنام والأوثان والأنصاب مـــن داخـــل الكعبـــة وحولها ، وأمر بهدمها وتكسيرها وحرقها ، وبذلك طمست معالم الشرك والوثنيـــة إلى غير رجعة ، وصار البيت الحرام (الكعبة) بعد ذلك حرماً آمنـــاً لا يدخلـــه مشرك ، ولا تطأه إلا قدم مسلم يؤمن بالله تعالى ورسولهﷺ.

وذكر أهل الأخبار أن في يوم فتح مكة نادى منادي رسول الله ﷺ: من كان يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر لا يتركن صنماً في بيته إلا كسره أو حرقه وثمنـــه حرام(٢)

قال جبير بن مطعم : وكنت أرى قبل ذلك الأصناميطاف بها بمكة فتشتريها أهل البدو ، فيخرجون بها إلى بيوتهم ، وما من رجل من قريش إلاّ وفي بيته صنم ، إذا دخل يمسحه وإذا خرج يمسحه تبركاً به ، ولما أسلمت هند بنت عتبـــة زوج أبي سفيان عام الفتح ، جعلت تضرب صنماً في يديها بالقدوم فلذةً فلـــذة ، وهـــي تقول : كنا منك في غرور

---

١. السهيلي : الروض الأنف ١٣٠/١

٢. الأزرقي : أخبار مكة ١٢١/١

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : دخل رسول الله ﷺ مكة المكرمة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً ، منها ما قد شد بالرصاص ، وبعد أن صلى رسول الله ﷺ الظهر طاف على راحلته وهو يقرأ قوله تعالى : ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ مشيراً إلى الأصنام ، فما من صنم أشار إلى وجهه إلا وقع على دبره ، ولا أشار إلى دبره إلا وقع على وجهه ، حتى وقعت جميع الأصنامفجمعت وحرقت بالنار(١).

وبعد الإنتهاء من هدم الأصنام وكسرها وحرقها وإزالتها تماماً ، دخل رسول الله ﷺ جوف الكعبة فوجد جدرانها قد صورت عليها الملائكة والنبيون وصورة عيسى وأمه ، ورأى إبراهيم عليه السلام مصوراً في يده الأزلام يستقسم بها ، ورأى فيها تمثال حمامة من عيدان فكسرها وألقاها إلى الأرض ، أما صورة إبراهيم عليه السلام فنظر ﷺ إليها وقال : (قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام ! ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) أما الملائكة الذين صوروا نساء ذوات جمال ، فقد أنكر رسول الله ﷺ صورهم ، لأن الملائكة ليسوا ذكوراً ولا إناثاً ، ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست(٢)

ولما طهر جوف الكعبة وما حولها من التصاوير والأصنام ، أمر النبي ﷺ بلالاً فأذن من فوق سطح الكعبة ، وصلى الناس بإمامة النبي ﷺ ومن يومئذٍ إلى يومنا هذا وعلى مدى أكثر من أربعة عشر قرناً مضت لم تنقطع الصلاة ، وخلفاء بلال من بعده ينادون بالأذان كل يوم خمس مرات من مآذن مسجد مكة ، وعلى مدى أكثر من أربعة عشر قرناً مضت من يومئذٍ ، والمسلمون يؤدون فرض الصلاة لله ، متوجهين إلي الله تعالى بقلوبهم وعقولهم ، مستقبلين البيت الحرام

---

١. . الأزرقي : المصدر السابق ١٢١/١

٢. ابن حزم : جوامع السيرة النبوية ص ١٦٨ ، عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٩٣

الذي طهره المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه من الأصنام والأوثان والأنصاب.

المشهور من أصنام جوف الكعبة وما حولها :

والمشهور من الأصنام التي كانت منصوبة في جوف الكعبة وما حولها الأصنام هبل وهو أكبر الأصنام وأعظمها و (إساف) و (ونائلة) و (مطعم الطير) و (مجاور الريح) وفيما يأتي الكلام عنها لأهميتها

الصنم (هبل) :

الصنم هبل من أشهر الأصنام وأعظمها ، بل هو الصنم الأكبر في الكعبة الشريفة ، وأقدسها عند العرب قاطبة ، وتكمن أهميته أنه كان منصوباً داخل الكعبة ، ذكر الكلبي أن أول من نصبه خزيمة بن مدركة ، وكان يقال له :(صنم خزيمة)أو (هبل خزيمة) وورث أولاده من بعده سدانته[١]

وهناك رواية ذكرها المسعودي جاء فيها أن عمرو بن لحي هو الذي جاء بالصنم هبل من البلقاء من أرض الشام[٢]. فيما ذكرت رواية أخرى أن الصنم هبل جاء به عمرو بن لحي من مدينة هيت من أرض العراق[٣] . والرواية الأولى في رأينا هي الأصح ، فليس كل صنم مصدره عمرو بن لحي حيث اعتاد الإخباريون أن ينسبوا ذلك إليه ، كما أن تسمية الصنم هبل بـ (صنم خزيمة) أو (هبل خزيمة)يدل على أن رواية الكلبي الأولى هي الراجحة وهذا ما أخذنا به .

نصب الصنم هبل على البئر التي كانت في جوف الكعبة عن يمين من يدخلها ، واسم البئر (الأخسف) وكان عمقه ثلاثة أذرع ، قيل أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حفراه ليكون فيها ما يهدى للكعبة . فلم تزل كذلك حتى كان عمرو بن لحي فجاء بالصنم هبل فنصبه على البئر في بطَن الكعبة وأمر الناس

---

١. الكلبي : الأصنام ص ٢١ ، السويدي : سبائك الذهب ص ١٠٢

٢. المسعودي : المصدر السابق ٢٣٨/٢ ، الأزرقي : المصدر السابق ١١٧/١

٣. السهيلي : الروض الأنف ٦٥/١

بعبادته . فكان الرجل إذا قدم من سفر بدأ به علـــى أهلـــه بعـــد طوافـــه بالبيـــت وحلقرأسه عنده[1].

واختلف في معنى (هبل) فقال بعضهم أنه من (الهبلة) ومعناه القبلـــة ، وقال آخرون أنه من (الهبيلي) أي الراهب وقيل أنه من (الهابل) وهو الكثيـــر اللحم والشحم ، ومنه حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : (والنســـاء يومئذٍ لم يهبلن اللحم ، أي لم يسمنَّ ، أو من (الهبل) وهو الثكل ويراد به أن من لم يطعمُ (هبل) أهبله أي أثكله[2] . فيما ذكر صاحب لسان العرب أن بني هبـــل بطن من كلب يقال له (الهبلات) كانت تتعبد له[3]

وقد ذهب العديد من المستشرقين إلى القول أن الصنم (هبل) هـــو رمـــز الإله (القمر) وهو إله الكعبة وهو الله عند الجاهليين[4] . ولشدة إعظامهم لهبـــل وتقديسهم له فقد ذكرت لنا كتب التاريخ أن البعض من عُباده تسموا بإسمه خاصة من بطون كلب فبإسم هذا الصنم سمي (هبل بن عبد الله بن كنانة الكلبـــي) جـــد زهير بن جناب .

وفي هيئة الصنم هبل ذكروا أن الصنم هبل كان قد صنع من العقيق الأحمر على صورة إنسان ، وكانت يده اليمنى مكسورة ، فأدركته قريش فصنعت له يـــداً من ذهب[5].

كان للصنم هبل خزانة للقرابين ، وكان قربانه مائـــة بعيـــر ، وكـــانوا إذا جاءوا هبل بالقرابين ضربوا بالقداح عنده أي استقسموا بها ، وذكر الإخباريون أن اقداح الصنم هبل سبعة قداح ، قدح فيه (العقل) إذا اختلفوا في العقل من يحملـــه ضربوا بالقداح السبعة عليهم ، فإن خرج العقل ، فعلى من خرج حمله ، وقدح فيه (نعم) للأمر الذي أرادوه يضرب به في القداح فإن خرج فيه نعم عملـــوا بـــه ، وقدح فيه (لا) فإذا أرادوا الأمر ، ضربوا به في القداح فإذا خرج ذلـــك القـــدحلم

---

[1]. ابن هشام : السيرة النبوية ٨٤/١ ، الأزرقي : المصدر السابق ١١٧/١

[2]. ياقوت الحموي : معجم البلدان ٣٩١/٥ . مادة (هبل) .

[3]. ابن منظور : لسان العرب ٦٨٦/١١ مادة (هبل) .

[4]. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٢٥٣/٦

[5]. السويدي : سبائك الذهب ص ١٠٢

يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه (منكم) وقدح فيه (ملصق) وقدح فيه (من غيركم) وقدح فيه (المياه) فإذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك القدح فحيث ما خرج عملوا به ، وكانوا إذا أرادوا أن يختتنوا غلامـــاً ، أو أن ينكحـــوا منكحاً ، أو يدفنوا ميتاً ، أو شكوا في نسب أحدهم ، ذهبوا به إلى هبـــل وبمائـــة درهم وجزور أعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها ثم قربوا صاحبهم الـــذي يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا : يا إلهنا هذا فلان أردنا به كذا وكذا ، فـــأخرج الحق فيه ، ثم يقولون لصاحب القداح : إضرب فإن خرج عليه (منكم) كان منهم وسيطاً ، وإن خرج عليه (من غيركم) كان حليفاً ، وإن خرج عليه (ملصـــق) كان ملصقاً على منزلته فيهم لا نسب له ولا حلف ، وإن خرج عليه شــــيء ممـــا سوى هذا مما يعملون به (نعم) عملوا به ، وإن خرج (لا) أخروه عامهُ ذلك ، حتى يأتوا به مرة أخرى ينتهون في أمرهم ذلك ما خرجت به القداح[1]

وكانت القبائل العربية خاصة قريش تلوذ بهبل وتستجير به وتتوسل إليـــه ، ليمن عليها بالخير والبركة ، وليدفع عنها الأذى وكل شر محتمل ، وفي معركـــة أحد التي حصلت في السنة الثانية للهجرة الشريفة بين المسلمين والمشركين ، وبعد انكسار المسلمين في المعركة ، علا صوت أبو ســـفيان يـــوم كـــان فـــي صـــف المشركين قائلاً : (أعلُ هبل) فقال النبي ﷺ: لعمر بن الخطاب ﷺ أجبه : (الله أعلى وأجل) [2]

الصنمان إساف ونائلة :

إساف بن بقاء رجل من جرهم ، ونائلة بنت ذئب امرأةٌ من جرهم أيضاً ، كان إساف يتعشق نائلة في أرض اليمن فأقبلوا حجاجاً فدخلا الكعبة ، فوجدا غفلة مـــن الناس وخلوة في البيت ، ففجر بها ، ويقال إنما قبلها فيها فمسخا حجرين ، فأخرجا من الكعبة ، فنصب أحدهما على الصفا والآخر على المروة ، إنما نصـــبا هنالـــك

---

١. الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٢/٢٤٠ ، محمد بن حبيب : المحبر ص ٣٣٢

٢. الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٢/٥٢٦ ، وقارن بالمحبر ص ٣١١ محمد بن حبيب .

ليعتبر بهما الناس ، ويزدجروا عن مثل ما ارتكبا لما يرون من الحال التي صـارا إليها ، فلم يزل الأمر يدرس ويتقادم حتى صارا يتمسح بهما من وقف على الصفا والمروة ، ثم صارا وثنين يعبدان ، فكانا كذلك حتى آلت حجابة البيت إلى قصـي بن كلاب فحولهما من الصفا والمروة فجعل أحدهما يلاصق الكعبة وجعل الآخـر في موضع زمزم ، ويقال جعلهم في موضع زمزم ، وكان ينحر عندهما ، وكـان أهل الجاهلية يمرون بإساف ونائلة ويتمسحون بهما ، وكـان الطـائف إذا طـاف بالبيت يبدأ بإساف فيستلمه فإذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها[١]

وهناك رأي للمسعودي في الصنمين إساف ونائلة فهو يقول : هما حجران نحتا ومُثِّلا بمن ذكرنا وسميا باسمائهما[٢] . ويبدوا لنا أن رأي المسعودي أقـرب إلـى الصحة مما ذكر آنفاً ، فإساف ونائلة إن صح خبرهما لم يمسخا حجرين ، وأن أهل مكة بعد شيوع خبرهما بعد مضي مدة من الزمن نحتوا حجرين على صـورتهما صُيِّرا بعد ذلك وثنين وعبدا.

ويذكر الأزرقي أنه لم تكن تدنو منهما امرأة طامث ، وبذلك يقول الشاعر بشر بن أبي حازم الأسدي[٣]

عليه الطير ما يـدنون منـه   مقامات العوارك من إسـاف

ولهذا وجدنا أبو طالب يحلف بهما حين تحالفت قريش على بني هاشم في أمر النبي ﷺ[٤] :

أحضرت عند البيت رهطي ومعشري   وأمسكت مـن أثوابـه بالوصـائلِ
وحين يُنـيخُ الأشـعرون ركـابهم   بمفضى السيول من إسـافٍ ونائـلِ

---

١. الأزرقي : أخبار مكة ١/١١٩ – ١٢٠
٢. المسعودي : مروج الذهب ٢/٥٠ .
٣. الأزرقي : المصدر السابق ١/١٢٠
٤. الكلبي : المصدر السابق ص ٢٩

ويرى الدكتور جواد علي أن القصص الكثيرة والمتضاربة عن إساف ونائلة ، إنما هو من صنع القبائل الكارهة لقريش ، فهو يشكك في موضوع أن إساف ونائلة فجرا في البيت ومسخا حجرين ، ويرى أن إساف ونائلة كانا صنمين استوردا من بلاد الشام فنصبا في الكعبة ، فتولد من كونهما صنمين لرجل وامرأة هذا القصص المذكور . ولعله من صنع القبائل الكارهة لقريش التي لم تكن ترى حرمة للصنمين ، وكانت قريش خاصة تعظم ذينك الصنمين وتتقرب إليهما وتذبح عندهما وتسعى بينهما ، أما القبائل الأخرى فلم تكن تقدسها ، لهذا لم تكن تتقربإليهما ، ومن هنا لم يكن الطواف بهما من مناسك الحج عند تلك القبائل[١]

وفي عام الفتح كسر الصنمان إساف ونائلة كما كسرت بقية أصنام الكعبة ، وتم حرقها جميعاً . يقول الواقدي عن شيوخه : أنه لما كسرت إساف ونائلة بعد فتح مكة خرجت امرأة سوداء شمطاء تخمش وجهها عريانة ناشرة الشعر ، تدعو بالويل ، فقيل لرسول الله ﷺ ذلك فقال ﷺ : (تلك نايلة أيست أن تعبد ببلدكم أبداً)[٢].

الصنمان (مُطعم الطير) و (نهيك) :

ومن الأصنام الأخرى التي كانت موجودة بجوار الكعبة وحولها الصنم المعروف (مُطعم الطير) وقد نصبه عمرو بن لحي عند المروة فكان الناس في موسم الحج يحجون إليه ، أما الصنم (نهيك) وكان يعرف بـ (مجاور الريح) فهو الآخر تقول الرواية أن عمرو بن لحي نصبه على الصفا[٣]

ولعل هذين الصنمين كما يقول الدكتور جواد علي[٤] : كانا من الأصنام التي كان الناس يضعون الحبوب عندهما لتأكلها الطيور ، ولذلك قيل لنهيك (مجاور الريح) وللآخر (مُطعم الطير) .

---

١. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٢٦٧/٦

٢. السهيلي : الروض الأنف ٦٥/١ ، اليعقوبي : المصدر السابق ٢٢٤/١

٣. الدتور جواد علي : المصدر السابق ٢٨٧/٦

٤. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٢٨٧/٦

المبحث الرابع

أصنام أخرى في بلاد العرب

استهتار العرب في عبادة الأصنام :

ما ذكرناه في المباحث الثلاثة المتقدمة كان الحديث فيها عن الأصنامالتي اشتهرت في بلاد العرب ، وكان لها عُباد كثيرون وكان لها الأثر الكبير في حياة العرب ولقد ذكر البعض منها في القرآن الكريم فكان منها (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر) وكان منها أيضاً (اللات والعزى ومناة) وفي هذا المبحث سنتحدث عن أصنام أخرى ورد ذكر بعضها في القرآن الكريم مثل الصنم (بعل) وأخرى لم يرد ذكرها فيه وهي كثيرة جداً لا يمكن لأي باحث حصرها أو عدها لكثرتها وانتشارها في أماكن وأصقاع متفرقة ويأتي إنتشارها بهذا الشكل كما يقول الكلبي(١) : (لاستهتار العرب في عبادة الأصنام) فكان لا يظعن عن مكة ظاعن إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصبابةً بمكة ، فحينما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمناً منهم وصبابة بالحرم وحباً له وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفيما يأتي الكلام عن البعض من هذه الأصنام

الصنم بعل :

البعل في اللغة الذكر من الزوجين ، قال تعالى : و﴿ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا ﴾ هود: ٧٢. ولما تصور من الرجل الإستعلاء على المرأة فجعل سائسها والقائم عليها كما قال تعالى :﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾النساء: ٣٤ سميت بإسمه كل معتلٍ على غيره فسمى العرب معبودهم الذي يتقربون به إلى الله تعالى (بعلاً)

---

١. الكلبي : الأصنام ص ٣٠

لإعتقادهم ذلك فيه[1] . قال تعالى :﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾الصافات: ١٢٥.

كان قوم إلياس عليه السلام سبطاً من بني إسرائيل نزحوا إلى المدينة المعروفة (بعلبك) وكانوا يعبدون الصنم (بعل) أرسل الله تعالى لهؤلاء القوم نبيه إلياس عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله تعالى الواحد الأحد وترك عبادة الصنم بعل لكنهم لم يستجيبوا له بل كذبوه فكان جزاؤهم أن يصيبهم العذاب في الدنيا والآخرة جراء تكذيبهم إلياس عليه السلام، قال تعالى :﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾الصافات: ١٢٣ – ١٢٨.

واختلف أهل اللغة والمفسرون في معنى كلمة بعل على أقوال نذكر منها[2]:

١. ما قاله ابن إسحاق أن البعل إمرأة كانوا يعبدونها من دون الله .
٢. ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : أن البعل الصنم أو الرب والمعنى أنكم تدعون صنماً جعلتموه رباً

وإذا كانت كلمة (بعل) تعني في بعض معانيها الرب فصار إسم الموضع الذي يرد بعدها رب الموضع ، يقال هذا بعل الدار أي رب الدار ، وربما كانت كلمة (بعلبك) وهي المكان الذي نصب فيه الصنم بعل آتيه من هذا المعنى

ويرى بعض المستشرقين أن كلمة (بعل) إقتبسها العرب بهذا المعنى اللاتيني من الأقوام السامية المجاورة لهم مثل سكان طور سيناء أو موقع آخر أخذوه من تلك الأقوام التي عرفت باشتغالها بالزراعة ، وهذا رأي يخالف رأي المستشرق (ولهاوزن) وكذلك المستشرق (نولدكه) الذين يريا أن عبارة بعل

---

١. الراغب الأصفهاني : المفردات ص ٥٤ .

٢. القرطبي : تفسير الجامع لأحكام القرآن ١٧/١٥ ، وقارن بمروج الذهب ٢٥٨/٢ للمسعودي .

هي عبارة سامية قديمة كانت معروفة في بلاد العرب منذ عهود موغلة في القدم[1].

وفي وصف هيئة الصنم بعل قيل أنه كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعاً وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن ويذكر أهل الأخبار أن الشيطان كان يدخل في جوف الصنم بعل ويتكلم بشريعة الضلالة وكان السدنة يحفظونها ويعلمونها للناس آنذاك[2]

الصنم عُميانُس :

الصنم عُميانُس هو صنم خولان وموضعه في أرض خولان في اليمن ، والذين تعبدوا له من خولان هم بطن منهم يقال لهم (الأدوم) وهم الأسُوُم وكان يقدم له كل عام نصيبه من الأنعام والحرث وكانوا يقسمون له من أنعامهم وحرثهم قِسماً بينه وبين الله ﷻ بزعمهم فما دخل في حق الله من حق الصنم عُميانُس ردوه عليه ، وما دخل في حق الصنم عُميانُس من حق الله الذي سموه له وتركوه له[3] وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾الأنعام: ١٣٦. وحجتهم في هذه القسمة أنهم إعتلوا بأن الله تعالى غني ، وما ذاك إلا لفرط جهلهم حيث أشركوا مع الخالق القادر جماداً لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه ﷻ[4]

ويذكر أهل الأخبار أن عبدةالصنم (عُميانُس) أو (عم أنس) في رواية أخرى كثيراً ما كانوا يقدمون لصنمهم القرابين وهم في أشد الحاجة إليها وما ذاك

---

[1]. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٢٦/٦

[2]. القرطبي : تفسير الجامع لأحكام القرآن ١٧/١٥

[3]. النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ٨٢/١٨ .

[4]. الزمخشري : الكشاف ١٨/٢ ، الالوسي : روح المعاني ٣٢/٧

إلا لفرط حبهم وإيمانهم لهذا المعبود ، وروي أنهم قدموا إلى رسول الله ﷺ بعد إسلامهم وسألهم ﷺ ما أعظم فتنة خلفها لهم الصنم (عم أنس) فقالوا لرسول الله ﷺ: أنهم رغم شدة ضيقهم وعوزهم للمادة حتى أنهم أكلوا الرمة لكنهم جمعوا مالاً وابتاعوا به مائة بعير ونحروها قرباناً لصنمهم في غداة واحدة وتركوها تأكلها السباع وهم أحوج إليها من السباع[1]

قال الشيخ احمد البدوي الشنقيطي في كتابه (عمود النسب) في الصنم عُميانُس أبياتاً شعرية هذا نصها[2] :

أضَلَّهم صَنَمُهم عَمُّ أنَس!	كانوا إذا الغيث عنهم إحتبس
توسلوا إليه بالذبائح	أن يُمْطَرُوا وأعظمُ القبائح
أن جعلوا له والله نصيب	من مالهم وإن تغيَّب النصيب
أعطي للصنم حظ الله	وماله لم يُغْطَ للإله

الصنم مناف :

صنم آخر من أصنام العرب التي كانوا يعبدونها قبل الإسلام وذكره الكلبي في كتابه (الأصنام) وقال : كانت قريش تسمي (عبد مناف) ولا أدري أين كان هذا الصنم ومن الذي جاء به ونصبه ، وقال بلقاء بن قيس وهو الشداخ الليثي وكان أبرصاً شعراً في الصنم (مناف)[3] :

وقرنٍ قد تركت الطير منه	كَمُعترِكِ العوارِكِ من مناف

وتبين من ورود اسم (مناف) بين عرب الشام أنه كان إلهاً معبوداً عندهم وقد عثر على كتابة وجدت في حوران ورد فيها اسم (مناف) مع إله آخر . كما

---

[1]. ابن سيد الناس : عيون الأثر ٢/٣٥٢

[2]. وردت هذه الأبيات في هامش (٣) من الصفحة ٤٣ من كتاب الأصنام للكلبي الذي حققه أحمد زكي .

[3]. الكلبي : الأصنام ص ٣٢

عثر على اسم (مناف) في كتابة على الحجر في حوران صور فيها الإله (مناف) على هيئة رجل لا لحية له ، يتحدر على عارضيه شعر رأسه المرموز به إلى الإله الشمس وحول جفنيه وحدقيه خطان ناعمان ويزين جيدهُ قِلادة ، وعلى صدره طيات ردائه ، ويرى طرف طيلسانه الإلهي الذي ينعطف من كتفه الأيسر فتصل إلى كتفه الأيمن ويعقد به[1]

الصنم الفَلْسُ :

الصنم الفَلْسُ لطي وكان أنفاً أحمر في وسط جبلهم الذي يقال له أجاً ، أسود كأنه تمثال إنسان ، وكانوا يعبدونه ويهدون إليه ويعترون عنده عتائرهم ، ولا يأتيه خائف إلا أمِنَعنده ولا يطرد طريدةٌ فيلجأ بها إليه إلاّ تركت له ولم تخفر حوبته[2]

وكانت سدنته بنو بولان وبولان هو الذي بدأ بعبادته ، فكان آخر من سَدَنَهُ رجل يقال له صيفي فأطرد ناقة خليَّة لإمرأة من كلب من بني عليم كانت جارة لمالك بن كلثوم وكان شريفاً فانطلق بها حتى وقفها بفناء الصنم الفَلْسُ وخرجت جارة مالك فأخبرته بذهابه بناقتها فركب فرساً عُرْياً وأخذ رمحه وخرج في أثره فأدركه وهو عند الفَلْسُ فقال له : خلِّ سبيل ناقة جارتي ! فقال له أنها لربك ! قال له : خلِّ سبيلها، قال : أتحَّقِرُ إلهك ، فبوأ له الريح فَحَلَّ عقالها وانصرف مالك وأقبل السادن على الفَلْسُ ونظر إلى مالك ورفع يده وقال وهو يشير بيده إليه[3] :

يا رب إن مالك بن كلثوم أخفرك اليوم بناب عُلْكُوم

وكنت قبل اليوم غير مغشوم

يحرضه عليه ، وعدي بن حاتم الطائي يومئذٍ قد عثر عنده ، هو ونفر معه يتحدثون بما صنع مالك وفزع لذلك عدي بن حاتم وقال أنظروا ما يصيبه في

---

[1]. الدكتور جواد علي : المفصل ٢٧٠/٦

[2]. الكلبي : الأصنام ص ٥٩ .

[3]. النويري : نهاية الأرب ٢٧/١٨ ، الكلبي : المصدر السابق ص ٦١

يومه هذا   فمضت له أيام فلم يصبه شيء فرفض عدي عبادة الفَلْسُ وعبادة الأصنام وتنصر فلم يزل متنصراً حتى جاء الإسلام فأسلم .

ولم يزل الصنم الفَلْسُ يعبد حتى ظهرت دعوة النبي ﷺفبعث إليه علي بن أبي طالب ﷺ فهدمه .

الصنم ذو الخَلَصَة (الكعبة اليمانية) :

ذو الخَلَصَة صنم كان سدنته بنو أمامة من باهلة بن أعصُرْ ، كـان علـى شكل مروة بيضاءمنقوشة عليها نقشاً كهيئة التاج وكان بتبالة بينمكة واليمن علـى مسيرة سبع ليالٍ من مكة بنى عليه بيت وكانت تعظمه وتهدي له خـثعم وبجيلـة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن ومن كان ببلاد العرب من تبالة. وهناك روايات جعلت بيت ذي الخلصة هو الكعبة اليمانية .

وذكر الكلبي أن رجلاً قُتِلَ أباه فأراد الطلب بثأره فأتى ذا الخلصة فاستقسم عنده بالأزلام فخرج السهم ينهاه عن ذلك فقال فيه شعراً[١] :

لو كنت يـاذا الخَلَصَـالموتورا   مثلي وكان شـيخك المقبـورا

لم تنه عن قتل العُداة زورا

كما ذكر في هذا السياق أنه لما أقبل أمرؤ القيس بن حجر يريد الغارة على بنـي أسد مَرَّ بذي الخَلَصَة وكانت له ثلاثة قداح يقـال لهـا : (الآمـر – النـاهي – المتربص) فاستقسم عنده ثلاث مرات فخرج (الناهي) فقال له : لو كان أبوك ما عوقتني فكسر القداح وضرب بها وجه الصنم ثم غزا بني أسد فظفـر بهـم ولـم يستقسم عنده حتى جاء الإسلام فكان أمرؤالقيس أول من أخفرهُ[٢]

ويلاحظ مما تقدم أن حالات ذم الأصنام واردة وكثيرة ولربما يعود ذلك إلى أن العرب كانوا يحاولون الجمع بين إيمانهم بالله وإيمـانهم بالأصـنام ويبـدو أن

---

١. الكلبي : الأصنام ص ٣٥

٢الكلبي : المصدر السابق ص ٤٧ .

إيمانهم بالأصنام لم يكن قوياً مستغرقاً وخصوصاً قبل المبعث النبوي الشريف لذلك كثيراً ما كانوا يتطاولون على أربابهم من الأصنام ، وعندما ظهر الإسلام ورأوا الحق سرعان ما أسلموا وهدموا بيوت أصنامهم وكسروا وأحرقوا ما فيها من الأصنام .

ويرى الدكتور جواد علي[١] :إن ذا الخَلَصَةكان صنماً أنثى أي إلهةً لذلك قيل له (الولية) ويظهر من رثاء إمرأة من خثعم لذي الخَلَصَة حين هدمه جرير بن عبد الله البجلي :

وبنو أمامة بالولية صرعوا ثملاً يعالج كلهم أنبوبا

ولما فتح رسول الله ﷺمكة وأسلمت العرب ووفدت عليه وفودها قدم عليه جرير بن عبد الله البجلي مسلماً فقال له النبي ﷺ:يا جرير ألا تكفيني ذا الخَلَصَة ؟ فقال : بلى ! فوجهه إليه فخرج حتى أتى بني أحْمَسَ من بجيلة فسار بهم إليه فقاتلته خثعم وباهلة دونه فقتل من سَدَنَته من باهلة يومئذٍ مائة رجل وأكثر القتل في خثعم وقتل مائتين من بني قحافة بن عامر بن خثعم فظفر بهم وهزمهم وهدم بنيان ذي الخَلَصَة وأضرم فيه النار فاحترق[٢]

وذكر رشدي الصالح ملحس محقق كتاب (أخبار مكة) عند حديثه عن ذيالخَلَصَة قال : والذي يبدو أن جرير بن عبد الله البجلي لم يقوِ على هدم بنيان َذيالخَلَصَة كلها لضخامتها أو أنه اكتفى بهدم قسم منه أو بهدم الأوثان التي كانت فيه وبقاء جدران البنيان قائمة حتى عهد الملك عبد العزيز آل سعود حيث أمر أمير الطائف بهدم جدران بيت ذيالخَلَصَة وحرقها وكذلك حرق شجرة العبلاء التي كانت بجانبه ورمي الأنقاض بوادي زهران وذلك عام ١٣٤٤ هـ وبذلك عفي على رسمها وأنقطع اثرها إلى الأبد[٣]

---

١. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٢٧٣/٦

٢. الكلبي : المصدر السابق ص ٣٥ ، النويري : نهاية الأرب ١١١/١٨

٣. الأزرقي : أخبار مكة ٣٨٢/١

ولأهمية ذوالخَلَصَة كصنم كان يعبد من قبل قبائل كثيرة فقد أخبر رسـول الله ﷺأن من علامات الساعة العودة إلـى عبـادة الأصـنام وخصـص الصـنم ذيالخَلَصَةفقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة قولـه ﷺ[1]: (لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات دوس على ذيالخَلَصَة). ومعنى ذلك أن الناس يرتدون عـن دينهم ويعودون إلى جاهليتهم الأولى في عبادة الأصنام فتسعى نساء دوس طائفات حول الصنم ذيالخَلَصَة فترتج أعجازهنَّ أو أن يكون المراد أنهنَّ يتزاحمنَّ بحيـث تضرب عجيزة بعضهن الأخرى من شدة الزحام

الصنم سعد :

كان هذا الصنم لمالكٍ وملكان إبني كنانة بساحل جُدَّةَ وكـان عبـارة عـن صخرة طويلة كان يهراق عليها الدماء وذكر أن رجلاً أقبل بإبل له على الصـنم سعد يتبرك بذلك فيها فلما أدناها نفرت الإبل منه فذهبت في كل وجه وتفرقت عليه فأسف فتناول حجراً فرماه به وقال : لا بارك الله فيك إلهاً أنفرت عليَّ إبلـي ثـم خرج في طلبها حتى جمعها وانصرف عنه وهو يقول[2]

أتينا إلى سعدٍ ليجمع شـملنا   فشتتنا سعدٌ فلا نحن مـن سـعدِ
وهل سعدٌ إلا صخرةٌ بتنوفـةٍ   من الأرض لا يدعو لغي ولا رُشْدِ

الصنم ذو الكفين :

ذو الكفين صنم صنع من خشب كان لدوس ثم لبني مُنْهِبِ بن دوس ، فلمـا أسلموا ، بعث رسول الله ﷺ الطفيل بن عمرو الدوسي فحرقه وهو يقول[3] :

---

[1]. ابن حجر : فتح الباري ٧٦/١٣ رقم الحديث (٧١١٦) .
[2]. الكلبي : المصدر السابق ص ٣٧
[3]. الكلبي : المصدر السابق ص ٤٨ .

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أكبر من ميلادكا

إني حشوت النار في فؤادكا

ويظهر أنّ الصنم ذو الكفين من الأصنام التي غلبت صفاتها على أسمائها فنعتت بهذه النعوت ومثل ذلك الصنم (ذو الرجل) وهو صنم من أصنام الحجاز ، وربما يكون للصنم (ذو الكفين) ميزة خاصة وعلامة فارقة مثل كسر فيه أو دقة في صنعه أو غير ذلك جعلت الناس يدعون هذه الصنم بهذه التسمية وكذلك الصنم ذو الرجل ويرى (نولدكه) احتمال كون هذين الصنمين بالأصل من الأحجار المقدسة التي كان يعبدها الناس في القديم ثم تحولت إلى صنمين يعبدان بعد أن رسمت عليهما بعض التصاوير صيرتهما على شكل إنسانين[١]

الصنم الأقيصر :

كان هذا الصنم لقضاعة ولخم وجذام وأهل الشامْ ، كانوا يحجون إليه ويحلقون رؤوسهم عنده ، فكان الرجل إذا حلق رأسه ألقى مع كل شعرة قُرَّةً من دقيق – أي قبضة من دقيق – فكانت هوازن تنتابهم في ذلك الإبان فإن أدركه أحد قبل أن يُلقيَ القرة مع الشعر ، قال (أعطينيه فإني من هوازن ضارع) وإن فاته أخذ ذلك الشعر بما فيه من القمل والدقيق فخبزه وأكله[٢]

وروى الكلبي بهذا الصدد[٣] : أن جرماً وبني جعدة اختصموا في ماء لهم إلى النبي ﷺ يقال له العقيق فقضى به رسول الله ﷺ لجرمٍ – فقال معاوية بن عبد العزى الجرمي[٤] :

وإني أخو جرمٍ كما قد علمتم إذا جُمعَتْ عند النبي المجامعُ

فإن أنتم لم تَقْنعوا بقضائه فإني بما قال النبي لقانعُ

---

١. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٦/٢٨٣

٢. الكلبي : المصدر السابق ص ٤٩ .

٣. الكلبي : المصدر السابق ص ٤٩ وما بعدها .

٤. الكلبي : المصدر السابق ص ٤٩ .

ألم تر جَرماً أنجــدَتْ وأبــوكم مع القمل في جَفْرِ الأُقَيصرِ شارعُ
إذا قُرَّةٌ جاءت يقول : أحبابهــا سوى القمل إني من هوازن ضارعُ

والقرة الدقيق المختلط مع الشعر ، كان الرجل منهم لا يحلق رأسه إلا على قبضة من قيق لتكون صدقته على الفقراء وطهوراً له . وقد روى الكلبي بهــذا الــصدد أيضاً ، قال : عُيِّرتْ هوازن وبنو أسد بأكل القُرَّة ، وذلك أن أهل اليمن كــانوا إذا حلقوا رؤوسهم وضع كل رجل على رأسه قبضة دقيق فإذا حلقوا رؤوسهم ســقط الشعر مع ذلك الدقيق ويجعلون ذلك الدقيق مرقة فكان أناس مــن أســد وقــيس يأخذون ذلك الشعر بدقيقه فيرمون الشعر وينتفعون بالدقيق[1]

ويبدو من خلال تحليل هذه الروايات أن عادة حلق الشعر وخلطه مع قبضة من الدقيق كان عرفاً شائعاً في العديد من القبائل وتحديداً قبائل اليمن عندما كــانوا يحجون.

وتشير الروايات أنه كان عند الصنم الأقيصر أنصاب كانوا ينحرون عليها ذبائحهم التي يتقربون بها إليه ، كما كانت عبدته يطوفــون حولــه وهــم يلبــون ويغنون.

الصنم نُهِمْ :

كان الصنم نُهِمْ لمزينة ، وكان سادن الصنم نُهِمْ يسمى خُزاعي بن عبد نُهِمْ من مزينة من بني عُدَّاءِ . فلما سمع بالنبي ﷺ ثار إلى الصنم فكسره وأنشأ يقول[2]:

ذهبتُ إلــى نُهِــمْ لأذبــح عنــده عتيرةً نُسك كالذي كنت أفعــل
فقلت لنفسي حين راجعت عقلهــا أهذا الإله أيكــم لــيس يعقــل
أبيتُ فديني اليــوم ديــن محمــد إله السماء الماجــد المتفــضل

---
[1]. الكلبي : المصدر السابق ص ٤٩ .
[2]. الكلبي : المصدر السابق ص ٣٩-٤٠

ثم لحق بالنبي ﷺ فأسلم وضمن له إسلام قومه مزينة .
ويظهر من أبيات شعرية قالها أمية بن الأسكر وهي[1]

إذا لقيت راعيين في غنم أسيِّدين يحلفان بنُهمْ
بينهما أشلاء لحم ومقتسم فامضِ ولا يأخذك باللحم القَرِمْ

وكان أتباع الصنم (نُهم) يقدمون له الذبائح ويقسمون به وقد سُمي منهم رجالٌ عرفوا بـ (عبد نُهِمْ) من بني هوازن وبجيلة وخزاعة مما يدلل على انتشار عبادة هذا الصنم بين هذه القبائل

الصنم سُعَيرْ :

سُعَيرْ كان صنم عترة ، ويقال : أن جعفر بن أبي خلاس الكلبي خرج على ناقته فمرت بسُعَيرْ وقد عترت عنده عتيرة فنفرت ناقته منه فأنشأ يقول[2]

نفرت خُلُوصي من عتائر صُرِّعَتْ حول السعير تزوره إبنا يقْدُمِ
وجموع يَذْكُرَ مهطعين جنابهُ ما أن يُحِيرُ إليهم بتكلَّمِ

و(يَقْدُم) و (يذكر) إبنا عنزة رأى قائل هذه الأبيات بني هؤلاء يطوفون حول الصنم فقال شعره هذا فيهم

الصنم رُضىً (رُضاء) :

ذكر الكلبي أن الصنم رُضىكان لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، بني عليه بيت للعبادة وهدمه المستوغروهو عمرو بن ربيعة بن كعب ، وقال في كسرهللصنم رُضى[3] :

---

[1]. الكلبي : المصدر السابق ص ٤٠
[2]. الكلبي : المصدر السابق ص ٤٢ .
[3] . الكلبي : المصدر للسابق ص ٣٠

ولقد شددتُ على رُضاء شَـدَّةً فتركتُها تلاً تنــازع أسْـحَــما
وَدَعَوْتُ عبدَ الله في مكرُوهِهــا ولمِثْلُ عبد الله يَخشى المحرَمَــا

وقد ورد اسم (عبد رُضى) بين أسماء الجاهليين ويذكر أن قبيلــة طــيء تعبدت للصنم رُضى فضلاً عن تميم وقد ورد اسم رُضى في كتابات ثمودية عديدة وكانت عبادته منتشرة بين العرب الشماليين منذ زمن موغل في القدم .

ويظهر من البيتين المتقدمين اللذين قالهما المستوغر في رُضــى : (ولقــد شددت على رُضا شدةً فتركتها) أن الصنم رُضى كانت أنثى لاستعمال الشــاعر ضمير التأنيث في كلمة (فتركتها) فهي إذن إلهة[١]

الصنم ذو الشرى :

كان لبني الحارثبن يشكر بن مبشر من الأزدصنم يقال له ذو الشّرى وفيــه يقول أحد الغطاريف[٢] :

إذن لحللنا حول ما دون ذي الشرى وشجَّ العِدى منا خميس عَرَمْـرَمُ

ويرى بعض اللغويين أن الشرى ما كان حول الحرم وهو إشراء الحرم أي نواحيه فإذا كان هذا التعريف صحيحاً فإنه يكون في معنى (ذات حمى) عند الســبأيين وكان لذي الشرى حمى به ماء يهبط من جبل حمته دوس له[٣]

الصنم المحرق :

المحرق كان صنماً لبكر بن وائل وبقية ربيعة في موضع سلمان وســدنته كانوا أولاد الأسود العجلي ونسب إليه بعض الرجال فورد (عبد محرق)[٤]

---

١. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٣٦٨/٦ – ٣٦٩
٢. الكلبي : المصدر السابق ص ٣٧ و ٣٨، النويري : نهاية الأرب ١٤/١٨
٣. النويري : نهاية الأرب ١٥/١٨
٤. ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مادة (محرق) ٤٩٣/٥

وذهب بعض المستشرقين إلى القول أن الصنم المحرق عرف بهذه التسمية لأن عبدته كانوا يقدمون إليه بعض القرابين البشرية محروقة وكان بنو بكر بن وائل وسائر ربيعة قد جعلوا في كل حي من ربيعة له ولد[١]

الصنم شمس :

كان الصنم شمس لبني تميم وكان له بيت تعبده بنو أد كلها : ضبة وتميم وعدي وعكل وثور ، وأما سدنته فكانوا من بني أوس بن مخاشن بن معاوية فكسره هند بن أبي هالة وصفوان بن أسيد[٢] . وذكر اليعقوبي أن قوماً من عذرة تعبدت لصنم يقال له : شمس[٣] .وقد وردت جملة أسماء منسوبة إلى شمس عرف أصحابها بعبد شمس وعمرو شمس وغيرهما مما يدل على أن عبادة الشمس كانت معروفة في مواضع مختلفة من جزيرة العرب .

الصنم قزاح :

وكانت تعبده أدوم ويظهر أنه كان من الأصنام القديمة المعروفةغير أنه فقد منزلته وقلت أهميته فلم يكن بعد من الأصنام الكبرى عند ظهور الإسلام . وكان الناس يتصورون أن قزاح يبعث الرعود والعواصف ولابد أن يكون لقوس قزح علاقة ما بهذا الصنم وقد يكون لأسم قزاح وهو من مواضع الحرم بمكة علاقة باسم هذا الوثن القديم[٤]

---

١. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٦/٢٨١

٢. محمد بن حبيب : المحبر ص ٣١٧ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان مادة (شمس) ٣/٣٦٢ .

٣. اليعقوبي : التاريخ العام ١/٢٢٥

٤. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٦/٢٨٧

الصنم الجلسد :

وكان صنماً لكندة وقد تعبدت له حضرموت أيضاً وكان سدنته بنو شــكامة بن شبيب وهم من كندة وكان له حمى ترعاه سوامهُ وغنمهُ فإذا دخلته هوافي الغنم حرمت على أربابها وصارت ملكاً للصنم وقد وصفوه فقالوا : كان كجثة الرجــل العظيم من صخرة بيضاء لها كالرأس الأسود إذا تأمله الناظر رأى فيه كــصورة وجه إنسان وكانوا يكلمون منه وتخرج منــه همهمــة ويقربــون القــرابين إليــه ويلطخون بدمه وكانوا يكترون ثياب السدنة يلبسونهما حينما يقربون إليه القــرابين لأجل تكليمه(١)

الصنم ضمار :

وكان صنماً يتعبده العباس بن مرداس السلمي وبنو سليم ، ولما حــضرت مرداس الوفاة أوصى به إلى إبنه العباس وطلب منه العناية به لاعتقاده أنه يضر وينفع فلما ظهر الإسلام أحرق العباس ضماراً وأتى النبي محمد ﷺ فأسلم(٢)

بيت (رئام) :

كان هذا البيت للأزد كما ذكر اليعقوبي ،وقــال الكلبــي كــان لحميــر ، وكانموقعه في صنعاء من أرض اليمن ، وكانوا يعظمونه ويتقربون إليه بالذبائح ، وكانوا فيما يذكر يُكَلَّمُون منه ، فلما انصرف تُبَّعْ بن حسان بن تُبَّــعْ وهــو تُبَّــعْ الأصغر آخر التبابعة من مسيره الذي سار فيه إلى العراق قدم معه الحبران اللذان صحباه في المدينة ، فأمراه بهدم بيت رئام وتهود تُبَّعْ وتهود معه أهل الــيمن(٣)

---

١. ياقوت الحموي : معجم البلدان ١٥٢/٢ وما بعدها .

٢. ياقوت الحموي : المصدر السابق ١٢٢/٣

٣. اليعقوبي :التاريخ ٢٢٦/١،الكلبي: المصدر السابق ص١١ وما بعدها، الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص١١١

وذكر ابن كثير في تفسيره أنه كان في بيت رئام كلباً أسوداً وان الحبرين اللـــذين ذهبا مع تبع استخرجاه وقتلاه ثم هدما البيت[1]

ويبدو أن وجود الكلب الأسود في بيت الأصنام (رئام) له علاقة بالشياطين التي سولت لبني آدم عبادة الأصنام ، وفي الحديث عن جابر بن عبـــد الله ﷺ قـــال أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الكلاب حتى كانت المرأة تقدم من البادية بكلبها فتقتله ثم نهى النبي عن قتلها وقال[2] : (عليكم بالأسود البهيم ذي النقطتين فإنه شيطان) ثـــم استقر الشرع على النهي عن قتل الكلاب يقول الإمام الجويني[3] (أمـــر النبـــي ﷺبقتلها كلها ثم نسخ ذلك ونهى عن قتلها إلا الأسود البهيم ثم استقر على النهـــي عن قتل جميع أنواع الكلاب التي لا ضرر منها سواء الأسود أو غيره . وقد أخبر رسول الله ﷺأن مرور الكلب الأسود يقطع الصلاة فقيل له يا رسول الله : ما بال الأحمر والأبيض من الأسود فقال ﷺ : (الكلب الأسود شيطان)

كعبة سنداد :

ومن بيوت الأصنام (كعبة سنداد) ، كانت قصراً كبيراً تحج إليه مشركة العرب قبل الإسلام فيطوفون حوله وقد عرف بـــ (ذي الكعبات) جمـــع كعبة وهو المكان المربع المرتفع وكان مركز حج قبائل بكر بن وائل وأيـــاد[4] وذكر الكلبي أن كعبة سنداد كانت لبني أياد موقعها بين الكوفة والبصرة ، وقيـــل أنها لم تكن بيت عبادة ، وإنما كانت عبارة عن منزل شريف[5]. وقد قـــال فيهـــا الشاعر الأسود بن يعفر قصيدة جاء فيها[6]:

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

---

١. ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢٥٤/٤

٢. صحيح مسلم بشرح النووي ٢١١/١٠

٣. صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٢/١٠

٤. ياقوت الحموي : معجم البلدان ١٥٠/٣ ، مادة (سنداد) .

٥. الكلبي : المصدر السابق ص ٤٥

٦. ديوان الشاعر الأسود بن يعفر ص ٢٧

كعبة نجران :

ومن بيوت الأصنام (كعبة نجران) كانت لبني الحارث بن كعب ، كانوا يعظمونها وقد زعموا أنها لم تكن كعبة عبادة ، وإنما كانت غرفة لأولئك القوم الذين ذكرهم الشاعر الأعشى في قوله[1] :

وكعبة نجران حتمٌ عليك ... حتى تناخى بأبوابها

وذهب ياقوت إلى أنها كانت بيعة للنصارى بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي على غرار الكعبة الشريفة في مكة المكرمة وعظموها وسموها كعبة نجران مضاهاة للكعبة الشريفة ، وفيها أساقفة[2]

والذي يترجح لدينا في أمر كعبة نجران أنها كانت في بداية تشيُّدها بيتاً لبني الحارث بن كعب ولم تك كعبة عبادة ، ثم اتخذت فيما بعد كعبة عبادة يحج إليها عبدة الأصنام من كل حدب وصوب ، وبعد دخول النصرانية نجران وانتشارها وتنصر من كان فيها حولها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي إلى بيعة وسموها كعبة نجران يضاهون بها الكعبة الشريفة في مكة المكرمة .

بيت بس :

وكان لهم (بيت بس) كان لغطفان بناه ظالم بن أسعد حين رأى قريش يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة ، فقام بذرع الكعبة الشريفة وأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة فرجع إلى قومه فبنى (بيت بس) واجتزأ به عن الحج إلى مكة ، فأغار عليه زهير بن جناب وقتل ظالماً وهدم (بيت بس) وكسر ما فيه من أصنام[3]

---

1. الكلبي : المصدر السابق ص ٤٥ وما بعدها .
2. ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢٦٨/٥ مادة (نجران) .
3. ياقوت الحموي : المصدر السابق ٤١٢/١ مادة (بس) .

الصنم اليعبوب :

كان الصنم يعبوب لجديلة طي – أخذته منهم بنو أسد – فبـدلوا اليعبـوب بصنم غيره ، قال عبيد

فتبدلوا اليعبــوب بعــد إلههــم   صنماً فقُروا يا جديل وأعذبوا

ربما كان هذا الصنم على هيئة الفرس لأن اليعبوب في اللغـة الفـرس السـريع الطويل ، أو الجواد السهل في عدوه ، أو البعيد العدو في الجري ، وبـه سـموا أفراس مشهورة لهم(١)

الصنم كُثرى :

صنم ينسب إلى طسم وجليس ، ظل باقياً معروفاً حتى ظهـور الإسـلام ، كسره نهشل بن عرعرة ولحق بالنبي ﷺ فأسلم(٢)

وقد ورد من بين أسماء العرب قبل الإسلام من كان يسمى (عبد كثـرى) ورجح (نولدكة) أن عدم ورود أداة التعريف مع كثرى ما يـدل علـى أن هـذا الصنم من الأصنام القديمة(٣)

الصنم فُراض :

كان بأرض سعد العشيرة ، كانوا يذبحون له ويلطخونه بالـدم(٤) حطمـه رجل منهم اسمه (ذباب) وهو من بني أنس الله بن سعد العشيرة ، ثم وفد إلـى النبي ﷺفأسلم وقال شعراً في هدم ذلك الصنم جاء فيه :

---

١. الكلبي : الأصنام ص ٦٣

٢. الدكتور أحمد زكي : تكملة كتاب الأصنام ص ١١٠

٣. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٢٨٥/٦

٤. النويري : نهاية الأرب ٨/١٨ .

تبعت رسول الله إذ جاء بالهدى   وخلفت فراضاً بـــدار هـــوان
شددت عليـــه شـــدة فتركتـــه   كأن لم يكن والدهر ذو حدثان

الصنم الغري :

الغري صنم كان يطلى بدم ، وقيل كان نصب يذبح عليه النسك ، وذكـــروا أن الغريين بناءان يقال هما قبر مالك وعقيل نديمي جذيمـــة الأبـــرش ، وســـميا الغريين لأن النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله في يوم بؤسه[١]

وهناك أصنام اخرى كثيرة منها[٢] : عائم والسجة والأسحم والأشهل وأوال والبجة والبعيم وبلج والجبهة وجريش والزور والزون والشارق والضيزنوالعبعب والمدان ومرحب ومنهب والهبا وذات الروح وياليل وتيم وعوف والكسعة وذريح والجد وصلال والحمام وذو اللبا والسعيدة وغنم وقيس والمنطبق وكعب وزائدة .

وإذا أردنا أن نقدم شرحاً لكل ما تقدم من الأصنام وغيرها كثيـــر ، فـــإن المقام يطول بنا لذلك إكتفينا بهذا القدر من المعلومات .

---

[١]. ابن منظور : لسان العرب مادة (نحر) ، الجوهري : صحاح اللغة ٥٢٦/٢ .

[٢]. وردت هذه الأصنام في أماكن متفرقة وفي مصادر كثيرة نذكر منها : لسان العرب ، تاج العروس ، البلدان لليعقوبي ، البلدات لياقوت ، أخبار مكة للأزرقي ، المحبر لمحمد بن حبيب ، الأصنام للكلبي ، نهاية الأرب للنويري ، وغيرها .

الفصل الخامس
بيوت الأصنام

المبحث الأول
طبيعة بيوت الأصنام

المبحث الثاني
الخدمات التي تقدمها بيوت الأصنام

المبحث الأول
طبيعة بيوت الأصنام

لوحظ أن بيوت العبادة عند عرب الجاهلية كانت على ثلاثة أنواع : بيوت عبادة خاصة بالمشركين عبدة الأصنام وهم الكثرة الغالبة ، وبيوت عبادة خاصة باليهود ، وبيوت عبادة خاصة بالنصارى ، أما بيوت عبادة المجوس ، فالمجوسية لم تنتشر بين العرب ولم تدخل بينهم إلا بين عدد قليل من الناس . يؤيد ذلك ما ذكره الآلوسي أن صنفاً من العرب عبد النار وقال عنهم[١] (وهم أشتات من العرب وكان ذلك قد سرى إليهم من الفرس المجوس)

ولقد أطلقنا في هذا المبحث على الأماكن التي نصبت فيها الأصنام والأوثان تسمية (بيوت الأصنام) والبعض يسميها (معابد) والآخر يسميها (هياكل) وهي كلها تعطي نفس المعنى المراد منه وهي أنها أماكن خصصت لعبادة الأصنام، وقد فضلنا إستخدام كلمة (بيوت الأصنام) لأنها التسمية الأكثر رواجاً وشيوعاً.

أنواع بيوت الأصنام :

كانت بيوت الأصنام الخاصة بالمشركين من عبدة الأصنام على نوعين[٢] :

الأول :بيوت أصنام متنقلة غير مستقرة بمكان معين عبادها من القبائل الرحل التي تنتقل من مكان لآخر طلباً للغزو وبحثاً عن الكلأ والماء ، لذلك كانت أصنامهم تنتقل معهم أينما حلوا وارتحلوا ، فإذا ما نزلوا ، في مكان ما وضعوا أصنامهم في خيمة ، وبذلك تقوم الخيمة التي وضعوا فيها أصنامهم مقام بيت الأصنام الثابت عند أهل الحضر ، ويكون لهذه الخيمة حرمة وقدسية ولها سدنة يسهرون على خدمتها وينقلونها معهم حيثما حلوا

---

١. الآلوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ٢/ ٢٣٣

٢. الدكتور جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦/ ٤٠٣ وما بعدها .

وارتحلوا وهم يتوارثون على خدمتها ، وإذا استقرت القبيلة وتحضرت تحضر معها بيت الأصنام كذلك ويصير عندئذٍ بيت الأصنام المتنقل في عداد بيوت الأصنام الثابتة .

الثاني :

بيوت أصنام ثابتة وهي التي اتخذها العرب من أهل الحضر المقيمين لتكونبيوت لعبادة أصنامهم وقد شيدت بيوت الأصنام هذه في الغالب على شكل كعبات مضاهاة للكعبة الشريفة في مكة المكرمة ، والكعبة عند العرب هي البيت المربع ، فكل بيت مربع عند العرب كعبة وقد خصصت في الإسلام بالبيت الحرام بمكة المكرمة .

ويذكر الإخباريون أن مشركي العرب الذين لم يقدروا على بناء بيت للصنم أو للأصنام إتخذ صنماً ولم يبنِ عليه ، ومن لم يقدر على امتلاك صنم ولا على بناء بيت للصنم نصب حجراً أمام الحرم أو أمام غيره مما استحسنه من الأحجار ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الأنصاب[1]

وقد يطلق على بيوت الأصنام لفظة (طواغيت) فقد ذكر أهل الأخبار أن العرب كانت قد اتخذت مع الكعبة الشريفة طواغيت تعظمها كتعظيمهم للكعبة وتنحر لها كما تنحر للكعبة أيضاً[2]

حرم بيوت الأصنام :

ويقال للأرض التي تحيط ببيوت الأصنام (الحرم) وسميت بذلك لتحريم الناس فيه كثيراً مما ليس بمحرم في غيره من المواضع ، لذلك لا يجوز في عرف هؤلاء المتعبدين للأصنام إنتهاك حرمة الحرم ، أو الإعتداء عليه ، وإذا دخل الإنسان الحرم أصبح آمناً مطمئناً لا يجوز الإعتداء عليه ، ولا أن يمس بسوء حتى لو كان قاتلاً أما من كان خارج حدود الحرم فهو من الحل اي في المنطقة

الكلبي : الأصنام ص ٣٣

٢. ابن هشام : السيرة النبوية ٨٥/١ . ابن كثير : البداية والنهاية ٢٥٣/٤

الخارجة عن حرمة بيت الصنم ، وبالتالي لا تشمله الأحكام المفروضة على الحرم ذاته .

ولمكانة الحرم في نفوس عَبَدَة الأصنام كان لابد من تحديد ووضع معالم تشير إلى نهايته لذلك حدد الحرم بأن وضعوا حجارة لتكون حداً وعلامة للحرم من غيره وربما بنوا جداراً أو وضعوا سياجاً أو أمثال ذلك ليكون إشارة إلى حرمة ما ورائه

حمى بيوت الأصنام :

وقد ألحقت ببيوت الأصنام وحرمها أراضٍ يقال لها (حمى) لأنها في حماية الأصنام ورعايتها فلا يعتدى عليها ولا يقطع شجرها ولا يرعى فيها ولا يسمح بصيد الحيوان فيها مهما كان المبرر لذلك

فكان في الطائف حمى وهو (حمى اللات) وقد خص به ، ومن بيوت الأصنام الأخرى التي كان لها حمى بيت العزى ، وكعبة نجران

وكان المشركون يهدون إلى بيوت الأصنام مواد مختلفة كانوا يتقربون بها إلى أصنامهم وكانوا يحبسونها في هذه الحمى ومن بين ما يقدم للأصنام (الهدي) ويراد به ما يهدى من النعم (الإبل والبقر والغنم) وقد شدد الجاهليون على وجوب المحافظة عليها وعدم الإعتداء عليها ، وهددوا من يتجاسر على مال الأصنام بعقوبة تنزل عليه منها وبغضب الآلهة عليه ، فصار من المحظور التطاول عليها لأنها مما حبس للأصنام[1]

ويعود سبب اختيار عبدة الأصنام للمواقع التي جعلوها بيوتاً وكعبات لأصنامهم هو لإعتقادهم بنزول الآلهة فيها أو إلى وجود قوى خارقة تكمن فيها أو وجود مقدسين قبروا في باطنها[2]

---

١. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٢١١/٦

٢. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٤٠٦/٦

وقد تقدس بعض المواضع ويقام فيها المعابد الوثنية أو بيوت الأصنام بسبب وجود أشجار مقدسة حسب اعتقادهم ، ونجد في الأخبار أن بعض بيوت الأصنام مثل بيت العزى قدست فيه ثلاث شجيرات كانت موجودة في حمى العزى وكذلك قدست شجرة كانت تعبد في الجاهلية أطلق عليها (ذات أنواط) وذكر الأزرقي في خبرها انها كانت تعظم من قبل الوثنيين فكانوا يذبحون لها ويعكفون عندها يوماً وكل من حج منهم وضع زاده عندها ويدخل بغير زاد تعظيماً لها[١]

---

١. الأزرقي : أخبار مكة ١/١٣٠

المبحث الثاني

الخدمات التي تقدمها بيوت الأصنام

طغت عبادة الأصنام على العبادات الدينية الأخرى التي مرت معنا خاصة في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام ، فقد انتشرت عبادة الأصنام بشكل كبير مما ازداد أعداد بيوت الأصنام الأمر الذي يتطلب أن تدار هذه البيوت من قبل رجال أكفاء يخدمونها ويخدمون زوارها بما يليق بها ولا سيما إذا علمنا أن معظم هذه البيوت كان على درجة عظيمة من الضخامة وهي جديرة بمقارنتها بما خلفته الحضارات الأخرى من آثار

إن الرجال الأكفاء الذين كانوا يديرون بيوت الأصنام هم (رجال الدين) وكان من أهم الواجبات الملقاة على عاتقهم الإشراف على بيوت الأصنام والمحافظة عليها وعلى أموالها وخدمة الأصنام وخدمة زوار الأصنام وتنفيذ الأحكام والتوسط لدى الآلهة لرفع الضرر والكرب عمن كان متضرراً أيام الشدة وساعات العسر

كان لبيوت الأصنام عند عبدة الأصنام قدسية وحرمة وحتى لا تنتهك قدسيتها وحرمتها خصص لها سدنة وحجبة وخداماً يقومون بمهمة خدمة الزوار من خلال تهيئة كافة المتطلبات التي يحتاج إليها الزوار وفيما يأتي الكلام عن هذه الخدمات التي تقدمها تلك البيوت :

السَّدانَة :

يقال أن السَّدانة هي الحجابة ذاتها ، وسَدَنَةَ البيت هم حجبة البيت وهذا يفيد أن اللفظين مترادفان غير أنه نقل عن ابن بري ما أورده صاحب اللسان أنه فرق بينهما ومما قاله[١] : (أن الحاجب يحجب وإذنه لغيره ، والسادن يحجب وإذنه

. ابن منظور : لسان العرب مادة (سدن) ٢٠٧/١٣

لنفسه) وعلى هذا يكون السادن أوسع صلاحية من الحاجب في إدارة شؤون بيوت الأصنام

والسادن في لغة العرب : خادم الكعبة وخادم بيت الأصنام وبيده مفتاح بيت الأصنام ومهمته تولي شؤون بيت الصنم أو بيت الأصنام وحمايتهـا والمحافظـة عليها من إنتهاك حرمتها لذلك تعد السدانة من المنازل الدينية والاجتماعية الرفيعة عند المشركين. وتكون السدانة في العادة وراثية ، تنتقل في أفراد العائلـة مـن الأب إلى الابن الأكبر وهكذا جيلاً بعد جيل ولا تكاد تخرج السَّدانة منهم إلا فـي القليل النادر جراء الحروب وغيرها

وعُرِف عن السَّدانة أنها تكسب صاحبها مالاً وجاهاً لـذلك صـارت سـبباً لوقوع خصومات بين الأسر من أجل الحصول عليها[1]

وللأسر التي تولت السَّدانة مكانة كبيرة في قومها وقد استفادت من النـذور والقرابين التي تقدم إلى بيوت الأصنام إذ تكون من حقها ونصيبها غيـر أن هـذا الحق لا يستوجب ولا يشترط أن تكون السَّدانة في أسرة معينـة فـي القبيلـة أو الموضع الذي فيه بيوت الأصنام فقد كان كثيراً من سدنة الأصنام مـن قبيلـة لا تنتمي إليها من يقع الصنم في أرضها . ويظهر أن هؤلاء توارثوا هذا الحق مـن عهد سابق إما لأنهم استوردوا الأصنام إلى هذه المواضع التي أصـبحت بيـوت عبادة وإما لأنهم كانوا يسكنون مع قبيلتهم في تلك الأماكن ثم حـدث سـبب مـن الأسباب أن جلت قبيلتهم عن الموضع لكن سدنتها فضلوا البقاء في الموضع الذي كانوا فيه حيث أصنامهم والبيت[2]

ولم يخل صنم أو بيت صنم من سادن فكان سدنة (بيت سواع) بنو صاهلة من هذيل وكان سدنة (بيت العزى) من بني صرمة بن مرة وكان سدنة (بيـت جهار) من آل عوف من بني نصر وكان سدنة (بيت الشمس) من بني أوس بن مخاشن بن معاوية سيد بني تميم وكان سدنة (بيت الفَلْس) بنو بولان وكان سدنة (بيت مناة) الغطاريف من الأزد وكان سدنة (بيت السعيدة) بنو العجلان وكان

---

١. الدكتور جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤٢٦/٦

٢. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٢١٤/٦ و ٢١٥

سدنة (بيت مرحب) ذو مرحب وكان سدنة (بيت اللات) مسعود الثقفي وكـــان سدنة (بيت ود) بني عامر الأجدار من قبيلة كلب[1]

أما سدنة البيت الحرام (الكعبة) في مكة المكرمة يــوم كانـــت الأصـــنام منصوبة في جوف الكعبة وما حولها فكانت في بني عبد الدار وكـــان آخـــر مـــن تولاها منهم عشية ظهور الإسلام عثمان بن طلحة وفي السنة الثامنة للهجرة وهي سنة فتح مكة المكرمة أغلق عثمان بن طلحة باب الكعبة وصعد علـــى ســـطحها فطلب رسول الله ﷺ منه المفتاح ليدخلها فأبى ، وقال : لو علمت أنك رسول الله لما امتنعت ، فلوى علي ﷺبيده وأخذ المفتاح منه ، ففتح باب الكعبة ، فدخل رسول الله ﷺ فصلى ركعتين داخل الكعبة ، فلما خرج سأله العباس ﷺ أن يعطيه مفتـــاح الكعبة ، ويجمع له السقاية والسدانة ، فنزل قوله تعـــالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾النساء: ٥٨ . فأمر رسول الله ﷺ علياً ﷺأن يرد المفتـــاح إلـــى عثمان بن طلحة ويعتذر منه ففعل ذلك ، ويروى أن جبريل ﷺ هبط وأخبر النبي ﷺأن السدانة تكون في أولاد عثمان أبداً ، فلما مات عثمان دفع مفتاح الكعبة إلـــى أخيه شيبة ، والمفتاح والسدانة إلى اليوم وإلى يوم القيامة في بنـــي عبـــد الـــدار .وذكروا أن رسول الله ﷺقال لعثمان بن طلحة (هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء) وذكروا أيضاًأن رسول الله ﷺقال له : (خذوها خالدة تالدة إلى يوم القيامة يا بني طلحة إني لم أدفعها إليكم ولكن الله دفعها إليكم ولا ينزعها منكم إلا ظالم)[2]

وكان بجانب السدنة (كهان) يدَّعون معرفة الغيب وأنه سخر لهم طـــائف من الجن يسترقون لهم السمع فيعرفون ما كتب للناس في ألواح الغد وممن عرف بذلك كاهن الخَلَصة وسطيح الذئبي وشق بن مصعب الأنماري وعوف بـــن عبـــد الرحمن الأسدي وسواد بن قارب الدوسي والشعثاء والكاهنة السعدية والزرقاء بنت زهير وغيرهنَّ[3]

---

[1]. محمد بن حبيب : المحبر ص ٣١٥ وما بعدها .

[2] . القلقشندي : صبح الأعشى ٢٦٤/٤ ، الأزرقي : أخبار مكة ٢٦٥/١

[3]. الدكتور شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ٩٤/١

كما كان في بيوت الأصنام (أرقاء) يعملون في حقول بيوت الأصنام في الزراعة وجني الثمار وسقي المزروعات . كما كانت طائفة من النساء يقمن بمساعدة الكهنة للقيام ببعض الطقوس الدينية[1]

ومع حرمة بيوت الأصنام فإنها أحياناً كانت تنتهك من بعض أصحاب النفوس المتمردة أو من ذوي أصحاب الحاجات فيقومون بسرقة ما يمكن سرقته من خزانة بيوت الأصنام وذكر في الأخبار أن خزانة الكعبة الشريفة كانت تسرق مراراً ومن بين هذه السرقات أن رجلاً من جرهم دخل الخزانة الموجودة في الكعبة وسرق منها بعض الهدايا فسقط عليه حجراً فحبسه فيها حتى أخرج منها وانتزع منه المال المسروق[2]

السقاية :

تعد السقاية من المآثر الكبيرة عند أهل مكة في الجاهلية ، وقد ارتبطت ببيوت الأصنام والسقاية هي الموقع الذي يتخذ فيه الشراب في المواسم ، ويقال للبيت الذي يتخذ مجمعاً للماء ويسقى الناس منه : السقاية . والغرض من إتخاذ أماكن معينة للسقاية في بيوت الأصنام أو بالقرب منها هي ليست لمجرد الشرب فقط بل للتطهر من الأوساخ أيضاً حتى تحل لزوار بيوت الأصنام إقامة الشعائر الدينية، والمقصود بالتطهر أن تغسل الأيادي والأوجه والأرجل بالماء ليسمح للزوار الدخول إلى بيوت الأصنام لممارسة الشعائر الدينية . وقد عثر في الفترة الأخيرة على آثار لآبار وأحواض مطمورة في حرم بيوت الأصنام ويبدو أن المتعبدين للأصنام كانوا يستفيدون من مياهها عند زيارتهم لها[3]

وفي الجاهلية وفي الفترة التي سبقت ظهور الإسلام كانت سقاية الكعبة الشريفة لبني عبد المطلب ، فأقرها النبي ﷺ وذلك أن العباس ﷺ كان في الجاهلية رئيساً لقريش ، وإليه كانت عمارة المسجد وسقاية الحاج بعد وفاة أبي طالب

---

1. الدكتور أحمد فخري : اليمن ماضيها وحاضرها ص ٥٧ ، محمد عبد القادر با فقيه : تاريخ اليمن القديم ص ٢١٥
2. السهيلي : الروض الأنف ١٣٠/١
3. الدكتور جواد علي : المفصل ٤١٨/٦

وبقيت معه في الإسلام ، وكان للعباس كَرَمْ بالطائف ، وكان يحمل زبيبه إلى مكة فينبذه ويسقيه للحاج أيام الموسم ، وفي الحديث[1] : (ألا كل مأثرة أو دم أو مال فهو تحت قدمي هاتين إلا سدنة البيت وسقاية الحاج) .

المذابح :

ومن الخدمات التي تقدمها بيوت الأصنام لزوارها تهيئة أماكن للذبح أطلق عليها (المذابح) وتكون ملحقة ببيوت الأصنام ويشرف عليها سدنة وحجبة البيوت ويقال للواحد منها (مذبح) أو (منحر) أو (غبغب) وقد سماها القرآن الكريم بـ (الأنصاب) جمع نصب وقد ورد ذلك في آية المحرمات من اللحوم في قوله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾المائدة: ٣. وهكذا بينت هذه الآية الكريمة أن من جملة ما يحرم من الذبائح التي لا يحل للمسلم أكلها ما ذبح على النصب . والنصب هي حجارة تنصب بين يدي الصنم يذبح عندها المشركون القرابين التي يقدمونها إلى الأصنام لكي ترضى عنهم . وتكون في هذه الأنصاب فتحة على هيئة ثقب تسيل منه الدماء عند ذبح القرابين أو قد تكون في الأنصاب مسايل جانبية تسيل الدماء منها إلى موضع تتجمع فيه يكون أشبه بالحفرة أو البئر

وقد ذكر أهل الأخبار أن عدد الأنصاب التي كانت موجودة عند الكعبة (٣٦٠) نصباً وهو عدد يساوي عدد الأصنام الموجودة داخل الكعبة وحولها. وهم بهذا كأنهم قد وضعوا لكل صنم نصباً يذبحون عنده ،ولو صدقنا هذه الرواية فهل نحن أمام ظاهرة رقمية ملفتة للنظر ؟.وهل لذلك علاقة بأمور فلكية ؟ أم له صلة بالأساطير الدينية القديمة ؟ هذه إستفهامات طرحها أكثر من باحث ، ونحن بدورنا نسأل كذلك .لكن الذي يتبين لنا أن الموضوع لا يتعلق بأمور فلكية ولا بأساطير

---

[1]. عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٩٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٤/ ٣٠١

دينية قديمة وإنما هناك أكثر من سبب أدت كلها مجتمعة إلى بلوغ عدد الأصنام والأنصاب هذا الرقم ، فإذا سلّمنا بالعامل السياسي ، وجدنا أن العامل الإقتصادي يكاد يكون هذاالأهم فقريش رأت أن تنتفع مادياً من خلال قدوم القبائل العربية إلى مكة في موسم الحج . فوضعت أصنام القبائل العربية حول الكعبة ، حتى إذا ما قدمت القبائل العربية إلى مكة وبالذات البيت الحرام وجدوا معبوداتهم الصنمية فأولوها تقديسهم واحترامهم .

<u>المحارق :</u>

ومن الخدمات التي تقدمها بيوت الأصنام لزوارها عبدة الأصنام (المحارق) مفردها (محرقة) وتكون ملحقة أيضاً ببيوت الأصنام والغاية من وجودها في بيوت الأصنام لتكون أماكن مخصصة لحرق القرابين التي تقدم قرباناً للأصنام.

ويرى باحثون مثل (ولهاوزن) وغيره أن العرب لم يكونوايحرقون الذبائح للأرباب بل كانوا يكتفون بالذبح وبسكب دم الذبيحة على النصب كله أو بعضه وأنهم يتركون الدم يسيل إلى الغبغب وهو المكان الذي يتجمع فيه دم الذبيحة . ودليلهم إلى ذلك عدم وجود نصوص تدل على أن العرب قبل الإسلام كانوا يحرقون ذبائحهم لأربابهم على ضوء ما كان يفعله العبرانيون[١] . ويرى باحث معاصر أن القرابين المحروقة إنما هي عبارة عن البخور الذي يحرق في المباخر كما يستدل من المباخر التي وجدت بكثرة تكون ملحوظة في بيوت الأصنام[٢] على أن ذلك كله لا يمكن أن يكون دليلاً قاطعاً وحجة كافية في إثبات أن هذه العادة لم تكن موجودة .

---

١. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٦/١٩٨

٢. محمد عبد القادر بافقيه : تاريخ اليمن القديم ص ٢١٥

الفصل السادس
الشعائر الدينية

المبحث الأول
الشعائر الدينية التي تقام في بيوت الأصنام

المبحث الثاني
حج المشركين إلى بيوت الأصنام والبيت الحرام

المبحث الأول

الشعائر الدينية التي تقام في بيوت الأصنام

تنوع المعتقدات الجاهلية :

بات من المعلوم أن لبيوت الأصنام عند العرب قبل الإسلام حرمة وقدسية فهي معابد مخصصة للعبادة لا يجوز إنتهاك حرمتها ولا القيام بأعمال شائنة فيها أو ضدها ، وأقدس مكان في البيت الغرفة التي فيها الصنم أو الأصنام .

كان سدنة بيوت الأصنام يعدون طهارة الثياب وطهارة الجسم من الأمور المهمة والملازمة لمن يريد الدخول إلى بيت الأصنام للتعبد فيها فإذا دخلها وهو نجس يكون آثماً لذلك كان من شروط الدخول إلى بيوت الأصنام لمن يريد تقديم قربان للأصنام ، أو إذا أراد تكليم الأصنام إرتداء ثياب نظيفة وبخلافه يتوجب كراء ثياب مسدنة يلبسونها بدلاً من ثيابهم حيث كانت بيوت الأصنام تدخر مثل هذه الثياب للزوار القادمين إليها[١]

أن مسألة الطهارة هذه انسحبت على النساء الحُيَّضْ فالقوم كانوا يمنعون المرأة الحائض من دخول بيت الأصنام ولا يسمح لها التمسح بجدرانه ولا التمسح بأصنامه لأنهم كانوا يرون نجاسة حيض المرأة[٢]

وكان من معتقداتهم عند دخول بيت الأصنام أو الخروج منها أنهم يتجنبون أن يجعلوا ظهورهم على بعض الأصنام وذلك إعظاماً لأصنامهم لذلك كانوا ينحرفون في سيرهم حتى لا تكون الأصنام إلى ظهورهم .

ويذكر الإخباريون أن عبدة الأصنامكانوا يحجون إلى بيوت الأصنام في أشهر معينة من السنة وهي الأشهر الحرم وهي أشهر مقدسة لا يحل فيها القتال ولا الإعتداء على أحد فهي أشهر هدنة وسلام خصصت للآلهة فلا يجوز انتهاكحرمتها[٣]

---

١. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٤٠٧/٦

٢. الكلبي : الأصنام ص ٣٢

٣. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٤٤٧/٦ .

إن العلاقة بين عبدة الأصنام وأصنامهم قائمة في الغالب على الود الذي يقدمه عابد الصنم لصنمه وكانت غاية ومرام هؤلاء العبدة أن يكون هذا الود متبادلاً بينهما . قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام وهو يخاطب قومه ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾ العنكبوت: ٢٥ .وحتى يضمن عابد الصنم هذا الود فإنه يتعين عليه أيضاً القيام ببعض الشعائر الدينية لكي ترضى عنه الأصنام لذلك كان لتقديم الهدايا والنذور والقرابين وجملة الشعائر الدينية للأصنام هو خير ما يقدم في المناسبات

لم يأت العرف الوثني بتحديدات معينة أو ملزمة لعبدة الأصنامن حيث الكيف والكمية التي تقدم إلى بيوت الأصنام من الهدايا والنذور والقرابين لذلك تنوعت وكانت الحلي النفيسة من الذهب والفضة في مقدمتها ولقد توسعوا في تقديم الهدايا ترضية لمعبوداتهم فقدموا لها المأكل والمشرب والملبس ويذكر الأزرقي في إحدى رواياته أنهم كانوا يقدمون إلى الصنم (ذي الخَلَصَةَ) الحنطة والشعير ويصبون عليه اللبن ويذبحون عنده ويعلقون عليه القلائد وبيض النعام والبرود النفيسة[1] . كل ذلك لاعتقادهم أن في الصنم روحاً وأن في مقدوره التلذذ بهذه الهدايا وأن ما قدموه له يسره ويفرحه وهكذا كانت نظرة المشركين إلى أصنامهم نظرة مادية بحتة تشعرهم بأن ما يقدمونه للأصنام إنما هو أوقع في نفوسها من أي شعيرة أخرى .

إن تقديم القرابين والنذور والهدايا للأصنام لم يكن يعني عند عبدة الأصنام أن ترضى عنهم في الحياة الآخرة لأنه لم يكن الأكثرية منهم يعتقدون بوجود حياة أخرى بعد الموت بل كان ما يفعلونه هو لكي ترضى عنهم آلهتهم في الحياة الدنيا من خلال إنعامها عليهم بالخير والبركة . جاء في تفسير القرطبي عن السدي أنه قال[2]: (كانت العرب في الجاهلية تدعو في مصالح الدنيا فقط فكانوا يسألون

---

١ . الأزرقي : أخبار مكة ١/١٢٤

٢. القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢/٤٣٢

الإبل والغنم والظفر بالعدو ولا يطلبون الآخرة إذ كانوا لا يعرفونها ولا يؤمنون بها) وما كان خوفهم من الآلهة إلا لإعتقادهم أنها قد تهلكهم أو تنزل بهم الشر في دنياهم ولولا الخوف من هذا العقاب لما أقدم إنسان فقير الحال معدم على تقديم أعز ما عنده إلى آلهته الصنمية وهو بأمس الحاجة إليه فالخوف من الآلهة المزعومة كان هو الدافع وراء ذلك . وروي أن إمرأة رومية تدعى (زنيرة) أسلمت فذهب بصرها بعد إسلامها فقال المشركون (أعمتها اللات والعزى)[1]
وفي هذا السياق ذكروا أن النبي ﷺ عندما ندد بآلهتهم وشدد على ترك عبادتها وإفراد الله بالعبادة خَوَّفَهُ المشركون من هذه الأصنام وقالوا له : أتسب آلهتنا ؟ لأن لم تكف عن ذكرها لتخبلك أو تصيبك بسوء ، وقد أشير إلى ذلك في قوله تعالى ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾الزمر : ٣٦.

لقد تنوعت الشعائر الدينية التي يؤديها المشركون أمام أصنامهم وفي بيوت أصنامهم ومن بين أهم هذه الشعائر نذكر الآتي :

النذور :

النذور مفردها (نذر) والنذر كلمة تدل على تخويف وتخـوُّف وهـو أن يخاف إذا أخلف وقد عرف الجرجاني النذر بقوله[2] : (إيجاب عين الفعل المبـاح عن نفسه تعظيماً لله تعالى) . والنذور هي الأخرى تعد من الشعائر الدينية المهمة عند عبدة الأصنام ، فهو وعد على شرط ، ومعنى ذلك أن يتوسل الناذر إلى آلهته من الأصنام بأن تحقق له ما يريده فإن أجابته إلى ذلكفعليه الوفـاء بهـذا النـذر .ولوحظ من بين النذور التي كانت تقدم إلى بيوت الأصـنام تماثيـل قـد تكـون مصنوعة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة أو غير ذلك ، فضلاً عن الأموال التي تقدم على شكل حلي نفيسة وجواهر ، ولا يمكن إغفال الذبائح التي تذبح عند الأنصاب في المواسم وسائر الأيام

---

١. ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ٣٠٥/٤ رقم (٤٦٥) .

٢. الجرجاني : التعريفات ص ٢٣٦

وقد يكون النذر بأن يحبس أحدهم نفسه أو مملوكه أو إبنه للصنم أو الأصنام وقد يوهب الناذر ما في بطن زوجته وما في بطون الحيوانات ، وقد ينذر الناذر موهبته للصنم بأن يتعهد بتقديم التراتيل الدينية في المناسبات ، أو أن يقدم أعمال فنية مثل رسم منظر ديني أو تزيين جدران بيت الأصنام

وقد يكون النذر أن يربط الناذر مولوده إذا عاش بعد ولادته في بيت الصنم ليكون خادماً له ، لأن أمه كان لا يعيش لها ولد ، لذلك نذرت إن عاش لها ولد تجعله ربيطة في بيت الأصنام .

وهكذا تبين لنا أن مادة النذر كثيرة ومختلفة ومتباينة بتباين النذور والأشخاص ، ويجب أن لا ننسى أن الناذرين كانوا لا يحلون لأنفسهم التهرب من أداء النذر لاعتقادهم بأن الأصنام ستغضب عليهم ، وإذا ما توفي الناذر ، فعلى ورثته الإيفاء بنذره ، لأن النذر شابه العهد فوجب إنفاذه[١]

القرابين :

مفردها قربان ، والقربان عند الراغب الأصفهاني[٢] : (ما يتقرب به إلى الله تعالى ، وصار في التعارف إسماً للنسيكة التي هي الذبيحة) ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ ﴾ المائدة: ٢٧. وكان عبدة الأصنام يعظمون البيت الحرام ويتقربون إليه وإلى أصنامهم بالذبائحبعد التسمية عليه باسم الصنم ، فهم يرون أن تعظيم البيت الحرام وكذا بيوت الأصنام لا يكون إلا بإهراق دم الضحية على الأنصاب التي كانت منصوبة في البيت الحرام وفي بيوت الأصنام ، لذلك كانوا يمسحون بالدماء جدران الكعبة وكذلك يمسحون رؤوس أصنامهم وبيوتها تقرباً لأصنامهم ، قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ﴾ الأحقاف: ٢٨.

---

١. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ١٨٩/٦

٢. الراغب الأصفهاني : المفردات ص ٣٩٩

ومن القرابين ما كان يقدم في أوقات مخصوصة كالأعياد والمناسبات التي يحتفلون بها ، كالاحتفاء بأعياد الآلهة حيث تكسى آلهتهم بأحسن الحلل ، وتزين بأجمل الزينات ، ويوضع أمامها ما لذ وطاب من المأكل والمشرب والهدايا ، حيث يقوم سدنة بيوت الأصنام بتأدية الشعائر الدينية الخاصة بالمناسبات المحتفل لأجلها.

ومن القرابين ما كان يقدم عند ميلاد مولود أو بناء دار أو القيام بحملة عسكرية وما شابه ذلك ، ويظهر أن عبدة الأصنام كانوا يقدمون قرابينهم إلى الآلهة في مناسبات كثيرة تقرباً إليها وإرضاءاً لها كي تمن عليهم بالخير والبركة .

وكانت لهم طرقهم الخاصة في توزيع لحوم القرابين ، فكان الذين يتبرعون لأصنامهم لا يأكلون منه إذا كان القربان نذراً ، وإنما يأكلون من ذبائح غيرهم[1].

وينبغي عدم إغفال ذبائح من نوع آخر قدمها عبدة الأوثان إلى أصنامهم ، وهي ذبائح بشرية قدمت إلى الآلهة لإعتقادهم أنها زلفى محببة إلى الأصنام ، وأنها ستنقذ مجتمعاتهم من الكثير من الأوبئة والأمراض وأنواع الشر والضر

والتاريخ لا يمكن له أن يبرئ أديان العالم القديم من تقديم هذا النوع من القرابين البشرية التي تعد للذبح . فلقد جرت العادة عند اليونانيين والرومانيين والهنود والفراعنة واليابانيين والصينيين ، بل حتى العبرانيين وغيرهم على جريان عادة ذبح البشر قرابين للآلهة .

أما عند العرب قبل الإسلام فالأمر مشكوك فيه ، وأن ما نكره (فورفيربوس) من أن أهل دومة كانوا يذبحون كل سنة إنساناً عند قدم الصنم تقرباً إليه ، وكذلك ما ذكره (نيلوس) من أن عادة بعض القبائل تقديم أجمل من يقع أسير في أيديهم إلى (الزهرة) منحة لها تذبح عند طلوعها تقرباً إليها ، وما روي أن ابن لـ (تيوردس) وقع أسيراً في أيدي الأعراب وهيء للذبح تقرباً إلى (الزهرة) ، غير أن أحوالاً وقعت حالت دون ذبحه فاكتفى آسروه ببيعه في سوق

---

١. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ١٩٧/٦ وما بعدها .

الرقيق وكذلك ما ذكروه أن ملك الحيرة قدم أحد أبناء الحارث الذي وقع أسيراً قرباناً إلى العزى[1]

هذه كلها أمور فيها نظر

ونحن نذكر هذه الروايات علينا أن لا ننسى قصة عبد المطلب جد النبي ﷺوإبنه عبد الله والد النبي ﷺعندما أراد ذبحه أمام الصنم هبل للإيفاء بنذره ، وخلاصة ذلك أن عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺقد نذر حين لقي من قريش في حفر بئر زمزم ما لقي لئن ولد له عشرة أنفر ثم بلغوا معه لينحرنً أحدهم لله عند الكعبة ، فلما توافى بنوه عشرة جمعهم ، ثم أخبرهم بنذره الذي نذر ودعاهم إلى الوفاء بذلك فأطاعوه ، وقالوا كيف نصنع ؟ قال : يأخذ كل واحد منكم قدحاً ثم ليكتب فيه اسمه ففعلوا ، ثم إئتوني ، فأتوه فدخل على هبل في جوف الكعبة فقال لصاحب القِداح : إضرب على بنيَّ هؤلاء بقداحهم هذه وخبره بنذره الذي نذر ، فلما أخذ صاحب القداح ليضرب بها قام عبد المطلب عند الصنم هبل يدعو الله ثم ضرب صاحب القداح فخرج القدح على عبد الله ، فأخذ عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ثم أقبل إلى إساف ونائلة وهما وثنا قريش اللذان تنحر عندهما الذبائح ليذبحهُ ، فقامت إليه قريش فقالوا له : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أريد ذبح عبد الله ، فقالت له قريش وبنوه لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه ، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بإبنه حتى يذبحه ، ونصحوه بالذهاب إلى الحجاز ، فإن هناك عرافة لها تابع من الجن فيسألها عن حاله ، ثم ذهب عبد المطلب إلى العرافة ويقال التقاها في خيبر ، وأعلمها خبره ، فقالت له : كم الدية فيكم ؟ قال : عشرة من الإبل ، قالت له : إرجع مع أولادك إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم تعني – عبد الله – وقربوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح ، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوه في الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم . فخرجوا من عند العرافة وأتوا مكة ودخلوا جوف الكعبة ووقفوا أمام الصنم هبل ، ثم ضربوا عبد الله وعشراً من

---

[1]. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٦/١٩٨

الإبل فخرج القِدح على عبد الله ، واستمروا كذلك ، وفي كل مرة يخـــرج القِـــدح على عبد الله ، حتى إذا ما بلغ الإبل مائة وعبد المطلب قائم يدعو الله عند الصـــنم هبل ، فخرج القِدحعلى الإبل ، فقالت قريش ومن حضر قد انتهى رضا ربك يـــا عبد المطلب ، ثم نحرت الإبل وتركت لا يُصد عنها إنسان ولا يمنع[١]

إن قصة محاولة عبد المطلب جد النبي محمد ﷺ ذبح إبنه عبد الله ، وكذلك القصص التي ذكرناها ، لا تعد حجة قاطعة على أن العرب قبل الإسلام مارســوا ذبح القرابين البشرية للآلهة ، كذلك يجب ألا تقبل مثل هذه الروايات بسهولة على أنها مشاهد حصلت فعلاً دونما تمحيص ، يقول الدكتور جواد علـــي[٢] : (يجــب علينا أن نكون في حذر شديد من قراءة أمثال هذه الروايات لأن مصـــدرها فـــي الغالب الخيال ، كذلك يجب أن نَمُرَّ برواية الإخباريين عن قصة عبد المطلب وإبنه بشيء من الاحتراس والحذر ، بل والشك والريبة) ويترتب علـــى قصـــة عبـــد المطلب في تقديم إبنه قرباناً ، هل كان عبد المطلب في جملة عبـــدة الأصـــنام ؟ والجواب على ذلك نقول أن دخول عبد المطلب مع إبنه عبد الله بالقِدح على الصنم هبل ودفعها إلى القيم وإقباله على إساف ونائلة قصداً للتذكية والذبح ، كل هـــذا لا يقدح في تبرأته من عبادة الأصنام ، فهذه الحركات الصادرة منه من قبيل العوائـــد لا العقائد بدليل أنه كان يدعو الله وهو في جوف الكعبة عند هبل وهذا أول دليـــل على اعترافه بالإلوهية، مع ما ينقل عنه أنه كان مجاب الدعوة ، فحرم الخمر على نفسه ، وأنه أول من تحنث بحراء .

البحيرة والسائبة والوصيلة والحام :

ومن القرابين الوثنية التي حرمها الإسلام : البحيرة والوصـــيلة والســـائبة والحام المذكورة في قوله تعـــالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾المائدة: ١٠٣.

١. الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٢٤٢/٢ وما بعدها باختصار ، ابن هشام : السيرة النبوية ١٦٠/١ وما بعدها .

٢. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ١٩٦/٦

وذكر أهل الأخبار أن أول من بحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحام هو عمرو بن لحي الخزاعي ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال[1] : قال النبي ﷺ: (رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار كان أول من سيب السوائب).

وهناك اختلافات كثيرة في تفسير معنى البحيرة وأخواتها ومرد ذلك أن القبائل العربية لم تكن متفقة فيما بينها على تفسير معنى تلك القرابين ومن هنا جاءت الاختلافات وقد أعتمدنا ما ذكره الزمخشري في الكشاف في جلاء معانيها قال الزمخشري[2] : كانت الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا إذنها أي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماءٍ ولا مرعى ، وهذه هي البحيرة . وكان الرجل إذا قال إذا قدمت من سفري ، أو برئت من مرضي ، فناقتي سائبة ، وحرم الانتفاع بها وهذه هي السائبة . وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم ، وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم ، فإن ولدت في بطن واحدة ذكراً وأنثى ، قالوا : وصلت أخاها ، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم وهذه هي الوصيلة . وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن ، قالوا : قد حمى ظهره ، فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ، وهذا هو الحام .

وليس القربان خاصاً بالذبائح وإن صار ذلك مدلوله في الغالب ، وبالإمكان تقديم الأموال والذهب والفضة وغيرها على أنها قرابين للآلهة .

العتيرة والرجبية :

تطلق لفظة (العتائر) ومفردها (عتيرة) على ذبح الحيوانات الأليفة كالشاة وسميت بذلك لأن دمها يُعْتر أي يسال حتى يتفرق ، وكانوا يسوقون ما يريدون تعتارهُ أي ذبحه إلى النصب الخاصبالصنم أو الصنم نفسه ويطلقون على مكان الذبح (النصب) وأحياناً (المذبح) أو (العِترْ) وغالباً ما يكون ذلك الذبح عند بيوت الأصنام حيث توجد أنصاب مخصصة للذبح وقد يُذبح العتيرة عند

---

[1]. ابن حجر فتح الباري : ٢٨٣/١٠ رقم الحديث (٤٦٢٣) ، ابن هشام : السيرة النبوية ٧٩/١

[2]. الزمخشري : تفسير الكشاف ٤٠٣/١ وما بعدها ، السهيلي : الروض الأنف ٦٨/١

الصنم نفسه . وكان بعضهم يقول أن العتير هو الصنم الذي تعتر له العتائر في رجب[1]

عرفت العتيرة بالرجبية لأنها كانت تذبح في العشر الأول من رجب فنسبوها إليه وعرفت أيام رجب بـــ (أيام ترجيب وتعتار) وسميت الذبائح التي تقدم فيه النسائك .

قال زهير بن أبي سلمى :

فَزَلَّ عنها وأوفى رأسُ مرقَبَةٍ   كنصبٍ لعتر دميً رأسه النُسُكُ

وأصل النسك الدم لذلك يقال من فعل كذا وكذا فعليه نسك أي دم يهريقه ، ثم صار النسك بمعنى العبادة والطاعة وكل ما يتقرب به إلى الله تعالى

ولقد فرق الباحثون بين العتيرة والرجبية ، فقالوا الرجبية ، ذبح أختص به شهر رجب وأما العتيرة فهي ذبح في رجب وغيره من الأشهر

ومما يلاحظ في تقديم العتائر أن الناذر يراعي الجنس في اختيار الذبيحة فإذا كان مقدم القربان ذكراً اختار قربانه حيواناً ذكراً وإن كان مقدم القربان أنثى اختارت الذبيحة أنثى ويبدو أن هذه العادة الجاهلية ما زالت مستمرة عند بعض الناس إلى يومنا هذا[2]

ولم يبطل الإسلام العتيرة إلا إذا كانتمما أهل لغير الله أي للصنم أو لغيره وأما إذا كانت لله فهي ليست من المحرمات وقد صح الأمر بالعتيرة وجاءت أحاديث كثيرة رواها أبو داود وغيره بأسانيد صحيحة منها حديث نبيشة ﷺقال نادى رسول الله ﷺ فقال[3] : (إذبحوا في أي شهر كان وبروا وأطعموا) وهذا الحديث لا يتعارض مع قوله ﷺفي الحديث الذي أخرجه مسلم قال[4] : (لا فرع ولا عتيرة) فهذا

---

١. ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ص ٧٠٦

٢. للدكتور جواد علي : المصدر السابق ٢٠٣/٦

٣. صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٥/١٣

٤ . صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٥/١٣ رقم الحديث (١٩٧٦) والمقصود بالفرع في الحديث هو أول إنتاج للبهيمة كانوا يذبحونه ولا يملكونه رجاء البركة في الأم وكثرة نسلها وقد حرم الإسلام الفرع إذا كان يذبح للصنم .

معناه لا فرع واجب ولا عتيرة واجبة أي نفي الوجوب في العتيرة أو المراد بالنفي ما كانوا يذبحون لأصنامهم أو أن العتيرة ليست كالأضحية في الإستحباب أو في ثواب إراقة الدم .

البخور والطيب :

وللتبخير شأن كبير في أداء وإتمام الفروض الدينية الوثنية في بيوت الأصنام ، إذ لابد من حرق البخور فيها ليبخر بها المذبح والأصنام ، كما يبخر بها القائمون بأداء الفروض الدينية ، و (المباخر) و (المجامر) المكان الذي يوضع فيه الجمر بالمدخنة للتبخير وتكون المباخر مصنوعة من بعض الأحجار أو بعض المعادن وقد بذل فيها جهداً كبيراً في صناعتها وزخرفتها بحيث تكون خليقة ومناسبة في وضعها في بيوت الأصنام . وقد ذكر صاحب كتاب الإكليل أن في المباخر رموزِ ذات دلالة دينية واضحة مثل رسم قرص الشمس والهلال كذلك هناك صور لبعض الحيوانات كالثور والوعل والنسر التي يظن أنها ترمز إلى القمر كما وجدت صورة لأفعى ويعتقد أنها لها دلالات دينية أخرى[١]

وكان التجمير من شعائر التقريب والتعظيم للأصنام ، ولقد صرفت الأموال الطائلة لشراء العود وغيره لإحراقه في هذه الطقوس لتطييب بيوت الأصنام وملحقاتها ، أما الخلوف وأنواع الطيب الأخرى فكانوا يلطخون بها الأصنام وجدران بيوت الأصنام لتبقى رائحتها زكية ، وروي بهذا الصدد أن الإسكندر عندما تم له إخضاع بلاد العرب بما فيها اليمن أرسل كمية ضخمة جداً من البخور ليحرق عند الآلهة[٢]

وروى الأزرقي أن حريقاً أصاب الكعبة بسبب تطاير شرر من مبخرة امرأة جمرت البيت فأصاب استار الكعبة فاحترق[٣]

---

١. محمد عبد القادر بافقية : تاريخ اليمن القديم ص ٢١٤

٢. محمد عبد القادر بافقية : المصدر السابق ص ١٨٢

٣. الأزرقي : اخبار مكة ١٥٨/١

المبحث الثاني

حج المشركين إلى بيوت الأصنام والبيت الحرام

الكعبة رمز التجمع الديني عند العرب قبل الإسلام :

كان المشركون من عبدة الأصنام يحجون إلى بيوت الأصنام ، كما كانوا يحجون إلى الكعبة الشريفة (بيت الله الحرام) بل كانت الكعبة الشريفة من أشهر المحجات عندهم ، إذ كانوا يقبلون في المواسم من كل حدب وصوب لتأدية مناسك الحج . وكانت كل قبيلة تحج إلى البيت الذي فيه الصنم أو الأصنام التي تقدسها وتعبدها ، ومن أشهر محجاتهم بعد البيت الحرام ، بيت العزى ، وبيت اللات ، وبيت مناة ، وبيت بُس ، وبيت ذي الخلصة (الكعبة اليمانية) ، وبيت نجران ، وغيرها كثير

والكعبة الشريفة رغم تحويلها إلى بيت لعبادة الأصنام ، لكنها كانت الرمز الوحيد للتجمع الديني قبل الإسلام ، ومع ذلك فقد كان ذلك التجمع تجمعاً في إطار من صور التعدد العقدي أو القبلي ،ذلك أن شعائرهم وطقوسهم في زيارة الكعبة الشريفة والحج إليها تختلف باختلاف القبائل التي تزمع الحج إليها وانفردت قريش بأمور من أمور الحج واعتبرتها من مناسك حجها فيما انفردت قبائل أخرى بمناسك لم تعتبرها قريش موجبة أو ملزمة لها

الإهلال والتلبية :

وذكر الإخباريون أن حج أهل الجاهلية إلى الكعبة الشريفة يبدأ بالإهلال ، فكان أهل يثرب يغادرون يثرب إلى بيت الصنم (مناة) يمكثون عنده لمراقبة هلال ذي الحجة ، فإذا ثبتت الرؤية عندهم أهلوا ولبوا ، ثم يسير من يسير منهم إلى مكة لإداء مناسك الحج[١] . ويوضح اليعقوبي ذلك فيقول : أن مشركي العرب

---

١. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٣٥٤/٦

إذا أرادوا حج بيت الله الحرام وقفت كل قبيلة عند صنمها وأهلوا عنده ثم لبوا حتى يقدموا مكة[1] . وكان لكل قبيلة تلبية خاصة بها تختلف عن تلبية غيرها من القبائل ، وذكر صاحب كتاب المحبر[2] أن طواف أهل الجاهلية بالبيت أسبوعاً واحداً .حيث كانوا يمسحون الحجر الأسود ويسعون بين الصفا والمروة وكانوا يلبون وكانت تلبيتهم تختلف من قبيلة إلى أخرى وذكر أن تلبية من نسك للعزى : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك وسعديك ، ما أحبنا إليك) وكانت تلبية من نسك لللات (لبيك اللهم لبيك ، كفى بيتنا بنية ، ليس بها بمهجور ولا بلية ، ولكنه من تربة زكية ، أربابه من صالح البرية) وكانت تلبية من نسك لود (لبيك اللهم لبيك ، لبيك معذرة إليك) وكانت تلبية من نسكلذي الخلصة (لبيك اللهم لبيكلبيك بما هو أحب إليك) وكانت تلبية من نسك ليعوق (لبيك اللهم لبيك ، لبيك بَغِّض إلينا الشر ، وحبب إلينا الخير) وكانت تلبية من نسك ليغوث : (لبيك اللهم لبيك ، أحبنا بما لديك ، فنحن عبادك قد صرنا إليك) وكانت تلبية من نسك لنسر: (اللهم لبيك اللهم لبيك ، لبيك إننا عبيد وكلنا ميسرة عتيد ، وأنت ربنا الحميد أردد إلينا مُلكناوالصيد) وكانت تلبية عك أنهم كانوا إذا أتوا إلى مكة حجاجاً يبعثون غلامين أسودين أمامهم يسيران على جمل مملوكين قد جردا فهما عريانان فلا يزيدان أن يقولا :

نحن غُرابا عك

وإذا نادى الغلامان بذلك صاح من خلفهما من عك

عكُ إليك عانية

عبادك اليمانية

كيما نحج الثانية

على الشداد الناجية

أما قريش فكانت تقول إذا ما أهلت على ما نقله صاحب اللسان[3] :

---

[1]. اليعقوبي : التاريخ العام ٢٢٥/١

[2]. محمد حبيب : المحبر ص ٣١١

[3]. ابن منظور : لسان العرب ٤٤٩/١٠ ، وفي كتاب الأصنام ص ٧ للكلبي أن هذه التلبية لنزار .

لبيك اللهم لبيك

لبيك لا شريك لك لبيك

إلا شريك هو لك

تملكه وما ملك

فهم يعنون بالشريك الصنم ويريدون أن الصنم وما يملكه ويختص به من الهدايا التي تكون عنده وحوله من النذور التي كانوا يتقربون بها إليه ، هي كلها ملك لله تعالى ﷻ فذلك معنى قولهم (تملكه وما ملك) فهؤلاء لم ينفعهم طوافهم ولا تلبيتهم ولا قولهم عن الصنم (هو لك) ولا قولهم (تملكه وما ملك) مع تسميتهم الصنم شريكاً ، بل حبط عملهم بهذه التسمية ، ولم يصح التوحيد مع الاستشفاع ، ولا تنفعهم معتقداتهم بقولهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣.

ويلاحظ من مجمل التلبيات التي كانوا يقولونها أنهم يذكرون الله تعالى وبعضهم يوحدوه بالتلبية لكنهم يدخلون معه آلهتهم ويجعلونها ملكاً بيده ، قال تعالى لنبيه ﷺ بصدد ذلك ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾يوسف: ١٠٦. أي ما يوحدونني بمعرفة حقي إلا جعلوا معي شريكاً في خلقي

الطواف ببيوت الأصنام والبيت الحرام :

والطواف بالأصنام وببيوت الأصنام وبالبيت الحرام عند المشركين ركن من أركان الحج ومنسك من مناسكه ، وليست كل بيوت الأصنام يتخذها عبدة الأصنام محجات لهم يقصدونها في الأيام والمواسم ، فقد يكون في المكان الواحد أحياناً عدداً من بيوت الأصنام لكنهم لا يحجون إلا إلى البعض منها ، ولا يكون ذلك إلا لميزة تشرفت بها هذه البيوت على سائر البيوت الأخرى لذلك قصدوها بالزيارة دون غيرها[1]

---

[1]. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٣٥١/٦

والطواف حول الكعبة الشريفة عند الجاهليين سبعة أشواط وقد يكون هذا العدد ثابت عند طوافهم حول بيوت الأصنام . وليس للطواف وقت محدد أو موسم معين ، فهم يطوفون كلما دخلوا بيوت الأصنام أو البيت الحرام .

طواف الحلة والحُمس :

وكانت العرب تطوف بالبيت وهم عراة إلا الحُمْس والحمس هم قريش وما ولدت ومن دان دينها . وذكر الإخباريون أن الطائفين بالبيت الحرام كانوا على صنفين : صنف يطوف عُرياناً وصنف يطوف بثيابه ، ويعرف من يطوف عرياناً بـ (الحلة) أما الذين يطوفون بثيابهم فيعرفون بـ (الحُمْس)[1] والحمس : جمع أحمس ، والأحمس المتشدد الصلب في الدين ، وسميت قريش حمساً لأنهم كانوا لا يخرجون من الحرم ، وكانوا يقولون نحن أهل الله لا نخرج من الحرم ، وكان سائر الحجيج يفيضون من عرفة إلا قريش فقد تركت الوقوف بعرفة وكانت تفيض من المزدلفة[2]

هذا وقد أضاف محمد بن حبيب في المحبر ، صنفاً ثالثاً قال عنهم أنهم (الطلس) ووصفهم بأنهم بين الحلة والحمس ، يصنعون في احوالهم ما يصنع الحلة ، ويطوفون في ثيابهم ودخولهم البيت ما يصنع الحمس ، فكانوا لا يتعرون عند الطواف حول الكعبة[3]

طواف العُري وأسبابه :

وأهل الحلة الذين يطوفون بالبيت عَرايا إنما يفعلون ذلك لإعتقادهم أن طوافهم بالبيت على هذا النحو ، إنما هو طرح لذنوبهم ، وكانوا يقولون لا

---

1. ابن هشام : السيرة النبوية ١/ ٢١٢ ، الأزرقي : أخبار مكة ١/ ١٨١
2. ابن حجر : فتح الباري ٥١٦/٣ ، صحيح مسلم بشرح النووي ١٦٧/٨
3. محمد بن حبيب : المحبر ص ١٨١

نطوف بالثياب التي قارفنا بها الذنوب وعصينا بها الله[1] وذكر الزمخشري والأزرقي ان خلع الحلة لثيابهم واجب محتم عليهم لا يجوز تركه ومن تركه يضرب حتى تنزع منه ثيابه[2] . وبيانه أنه إذا أراد أحدهم الطواف وقف بباب المسجد وهو يقول : من يعبر مصوناً ؟ من يعير ثوباً ؟ فإن أعاره أحمسي ثوباً أو أكراه طاف به ، وإن لم يعره ألقى ، ثيابه بباب البيت من خارج ثم دخل الطواف وهو عريان[3] . وكانوا يسمون الثياب التي يخلعونها عند الطواف بـ (اللقي) وذكروا أن (اللقي) تبقى في مكانها ولا يمسها أحد حتى يبلى من وطء الأقدام وحرارة الشمس وهبوب الرياح .

وطواف العري بهذا الشكل يشمل الرجال والنساء من الحلة ، فالمرأة كانت تطوف عريانة إذا لم يعرها أحد ثوباً أو كراه لها . تطوف عريانة لا يستر عورتها لباس أو قماش ، وقيل كانت تتخذ سيوراً تعلقها في حقوبها تستر بها ، فيما ذكرت روايات أخرى أنها كانت تطوف ليلاً وبذلك تتخلص من وقوع سترها في أعين الرجال لأن الرجال كانوا في العادة يطوفون في النهار ، على أن ذلك لم يمنع فتيان مكة من النظر إليهنَّ وهنَّ عرايا ، ويروى أن جميلة الجميلات (ضباعة بنت عامر بن صعصعة طافت بالبيت وهي عريانة بعد أن وضعت إحدى يديها على قبلها والثانية على دبرها وأنشدت تقول[4] :

اليوم يبدو بعضه أو كله   وما بدا منه فلا أحله

وذكر الأزرقي في كيفية طواف العرايا فقال[5] : يبدأ بإساف فيمسكه ، ثم يستلم الركن الأسود ، ثم يأخذ عن يمينه ويطوف ويجعل الكعبة عن يمينه ، فإذا ختم طوافاً سبعاً ، استلم الركن ، ثم استلم نائلة فيختم بها طوافه .

---

١. السهيلي : الروض الأنف ٣٣/١

٢. الزمخشري : الكشاف ٩٠/٢ ، الأزرقي : أخبار مكة ١٩٢/١

٣. الأزرقي : المصدر السابق ١٧٨/١

٤. الأزرقي : المصدر السابق ١٧٨/١ ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٨٩/٧

٥. الأزرقي : المصدر السابق ١٧٨/١

الإسلام يحرم طواف العرايا :

وقد منع الإسلام طواف العري وأمر كل طائف سواء كان من قريش أو غيرها بلبس الإحرام حيث أنزل الله تعالى : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ الأعراف: ٣١. لذلك أمر رسول الله ﷺ في الحجة التي حجها أبو بكر الصديق ﷺ سنة تسع للهجرة ، أن ينادي مناديه (أن لا يطوف بالبيت عريان)[١]

وذهب البعض من الباحثين إلى القول ان الذين كانوا يطوفون بالبيت وهم عُرايا هم من ضعيفي الحلة ، وأغلبهم من الأعراب أو من الفقراء ، من لا قبل له على إستكراء ثياب أحمسية ، أو ممن لا صاحب له من الحمس يعيره ثياباً يلبسها عند طوافه ، أما المتمكن من الحلة أو له صاحب من الحمس ، فلا يطوف بالبيت عرياناً وإنما يطوف بثياب أحمسية[٢]

---

١. صحيح مسلم بشرح النووي ١٦٧/٨

٢. الدكتور جواد علي : المصدر السابق ٣٦١/٦

الفصل السابع

صناعة التماثيل في زمن سليمان عليه السلام

المبحث الأول

تماثيل سليمان عليه السلام بين الحل والحرمة

المبحث الثاني

التماثيل وأحكامها في الشريعة الإسلامية

المبحث الأول

تماثيل سليمان عليه السلام بين الحل والحرمة

في معنى التماثيل :

التماثيل جمع مفردها تمثال ، وفي مادة (مثل) يقول ابن فارس[1] (الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء) يقال هذا مثل هذا أي نظيره . والتمثال في اللغة الصورة ، ومَثَّلَ الشيء صَوَّرهُ كأنه ينظر إليه . ومنهقول الشاعر[2] :

ويا ربَّ يوم قد لهوت وليلةٍ   بآنسة كأنها خط تمثال

قال صاحب اللسان[3] :

مَثَّلَ الشيء بالشيء سواه وشبهه به وجعله مثله ، وعلى مثاله ، والتمثال اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله تعالى ، وأصله من مثلت الشيء بالشيء إذا قدرته على قدره .

ولقد سمي القرآن الكريم نحت الأشكال الحية بالتماثيل ، وقد وردت كلمة التماثيل في القرآن الكريمفي موضعين أثنين ، نحو قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾الأنبياء: ٥٢. أما السنة النبوية الشريفة فقد سمت الأشكال التي نحتت بالصورة أو التصاوير ، كما في قوله ﷺ[4] (من صَوَّرَ صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ أبداً) .

---

[1]. ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ص ٩٣٨

[2]. القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٧٣/١٤ ، والبيت للشاعر لمرئ القيس .

[3]. ابن منظور : لسان العرب مادة (مثل) ٦١٣/١١

[4]. ابن حجر : فتح الباري ٤١٦/٤ رقم الحديث (٢٢٢٥) .

والتمثال هو الصنم على مثل صورة الإنسان أو الحيوان ، وقد ذكرنا فيما مضى من القول أن كل ما صنع من خشب أو نحاس أو ذهب أو فضة أو أي معدن آخر فهو (صنم) وما صنع ونحت من حجر على مثال صورة الإنسان أو الحيوان فهو (وثن)

فضل الله تعالى وامتنانه على سليمان عليه السلام :

قال تعالى في حق سليمان عليه السلام :﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾سبأ: ١٢ – ١٣.

والآية واضحة وصريحة في فضل الله تعالى على سليمان عليه السلام أن سخر له الجن يعملون بين يديه بإذنه تعالى ، فيصنعون لسليمان عليه السلام ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، وتخصيص هذه الأشياء والتماثيل من ضمنها ، دليل على جوازها ، ومن ثم اتخاذها وسائل للغرض الذي من أجله صنعت.

وحتى نفهم الأمور أكثر يتعين علينا عدم إغفال ربط الأشياء التي ذكرت في الآية وهي التماثيل وأخواتها مع القدرة الفائقة المعطاة للجن في صناعتها ، ويكاد يجمع المفسرون على أن ما قامت به الجن من أعمال للنبي سليمان عليه السلام، إنما هي من الأعمال الخارقة للعادة والتي لا يمكن للبشر أن يعملها بمفرده ، وذلك للصعوبة البالغة في إتمام صناعتها على القدر المطلوب في الدقة ولضخامتها ، يقول سيد قطب[١] :(وهذه كلها نماذج مما سخر الله الجن لسليمان لتقوم له به حيث شاء بإذن الله ، وكلها أمور خارقة لا سبيل إلى تصورها وتعليلها إلا أنها خارقة من صنع الله ، وهذا هو تفسيرها الواضح الوحيد) .

. سيد قطب : في ظلال القرآن ٢٢/٦٥

مشروعية إباحة التماثيل في زمن سليمان عليه السلام :

إن عودة ثانية لقراءة قوله تعالى :﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ ﴾ يدل دلالة واضحة لا لبس فيها ولا غموض أن ظاهرها يجيز صناعة ونحت التماثيل ونصبها في الأماكن المراد نصبها فيها ، ولا توجد قرينة صارفة تصرفها عن المعنى الذي أنزلت من أجله .

لقد كان من أسباب صناعة التماثيلعند الأقوام التي سبقت سليمان عليه السلامفي بداية الأمر ، هو ليراها الناس وليزدادوا عبادة واجتهاداً ، لذلك كانوا يصورون الملائكة والأنبياء والرجال الصالحين ويضعون تماثيلهم في المساجد ، ولما تمادى الزمن عبدوهم من دون الله تعالى ، لذلك جاءت شرائع الأنبياء عليهم السلام بتحريم صناعة الأصنام وتحريم عبادتها ، لأنها أصبحت أنداداً تعبد من دون الله ، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تحرم التماثيل في زمن سليمان عليه السلام؟

يقول الزمخشري[1] :(فإن قلت كيف استجاز سليمان عليه السلامعمل التصاوير ؟ قلت هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع ، لأنه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب) .

ولقد بات من المعلوم أن سليمان عليه السلاملم يكن ليصنع التماثيل ليعبدها أو يأمر أحداً بعبادتها إذن ما الغرض من قيام الجن بصناعتها للنبي سليمان عليه السلام؟ هل الأمر يدخل في الإبداع الفني ؟ هل كانت صناعة التماثيل لأغراض جمالية الغرض منها تزيين القصور والمحلات والشوارع ؟ أين هي تماثيل النبي سليمان عليه السلام؟ وما هي أعدادها ؟ كم أحجامها ؟ هل الإباحة بصناعتها اختلاف شرائع ، أم ماذا ؟ هل أن عدم تحريمها في زمن سليمان عليه السلامفيه دليل على استحالة إرتكاس قومه في عبادتها ؟ كل هذا ما لم يستطع أحد الإجابة عليه ويبقى مجهولاً إلى يومنا هذا

---

[1]. الزمخشري : تفسير الكشاف ٥٧٢/٣ .

العلماء يقيدون صناعة التماثيل بقيود :

ذهب العديد من العلماء على أن التماثيل التي كانت تصنعها الجن لسليمان عليه السلام لم تكن تماثيل لذي روح من إنسان أو حيوان أو طير وإنما كانت تماثيل لما لا روح له كالأشجار والمناظر الطبيعية وما شاكلها أو أن التماثيل المصنوعة كانت مقطوعة الرأس وهذا جائز لعدم وجود الروح فيه[1] . ويلاحظ أن أصحاب هذا الرأي ينظرون إلى تماثيل النبي سليمان عليه السلام مثلما ينظرون إلى أصنام عرب الجاهلية فهي محرم صناعتها إلا ما كان منها مقطوع الرأس ليس بذي روح أو كان مصنوعاً من الشجر ونحوه مما لا روح فيه .

وهناك من رأى أن حرمة التصاوير شرع جديد جاء به الإسلام وإنما حرم على الأمة الإسلامية لأن قوم النبي محمد ﷺ كانوا يعبدون الأصنام . يقول الشيخ البروسوي[2] (وأعلم أن حرمة التصاوير شرع جديد وكان اتخاذ التصاوير قبل هذه الأمة الإسلامية مباحاً ، وإنما حرم على هذه الأمة لأن قوم رسولنا ﷺ كانوا يعبدون الأصنام ، فنهى ﷺ عن الإشتغال بالتصوير)

ما نراه مناسباً :

الذي نراه هنا ونرجحه أن صناعة التماثيل ونحتها في زمن سليمان عليه السلام ووضعها في الأماكن المراد وضعها فيها وسواء كانت تماثيل لذي روح من إنسان أو حيوان أو طير ، إنما كان مباحاً ولا معنى للقول أنها كانت مقطوعة الرأس لعدم وجود دليل على ذلك . كما أن تخصيص التماثيل مع أخواتها من المحاريب والجفان والقدور ، يأتي من باب فضل الله تعالى وامتنانه على سليمان عليه السلام، وهذا هو دليل جوازها . أو لربما يأتي إحتمال جوازها لإستحالة إرتكاس قوم سليمان عليه السلام في عبادتها

---

1. القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٤/٢٧٢
2. الشيخ إسماعيل حقي البروسوي : تنوير الأذهان في تفسير روح البيان ٣/٢٦٤

المبحث الثاني

التماثيل وأحكامها في الشريعة الإسلامية

<u>من مظاهر الشرك صناعة التماثيل :</u>

ديننا الإسلامي الحنيف دين توحيد خالص لله تعالى والشرك ضده فهما نقيضان لا يلتقيان ، وليس في الإسلام ذنب أعظم من الشرك بالله تعالى ، والله تعالى يغفر الذنوب جميعاً إلا الشرك ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾النساء: ٤٨.

كان من مظاهر الشرك بالله تعالىصناعة التماثيل واتخاذها أرباباً من دون الله تعالى ، وقد أكدالقرآن الكريم في العديد من آياته على تحريم نحت التماثيل وصناعتها والعكوف عليها واتخاذها أنداداً من دون الله ، وفيما مرَّ معنا لاحظنا أن جميع الأنبياء بعثهم الله تعالى إلى بني آدم لتوحيده وترك عبادة الأصنام ، وفي عام الفتح أمر رسول الله ﷺ بتحطيم الأصنام وهدم بيوتها ، كما وجه الفضل بن العباس رضي الله عنهما أن يأتي بماء زمزم وثوب وأمره أن يطمس كل الصور التي كانت موجودة داخل الكعبة الشريفة ، وذكر الأزرقي في أخبار مكة أن من بين الصور التي كانت داخل الكعبة الشريفة ، صور الأنبياء وصور الملائكة وصور الشجر وصورة عيسى وأمه مريم عليهما السلام[1] . ولا صحة للرواية التي جاء فيها أن النبي ﷺعندما دخل الكعبة وضع كفيه على صورة عيسى وأمه عليهما السلام وقال : (أمحوا جميع الصور إلا ما تحت يدي) لأن إقرار النبي ﷺعلى إبقاء هاتين الصورتين إقرار على منكر، والنبي ﷺلا يقر على منكر ، وكيف يصح أمره ﷺ بإبقاء الصورتين وقد وقع في حديث جابر عند ابن سعد في الطبقات وأبي داود ،

---

[1]. الأزرقي : أخبار مكة ١٦٥/١

كان النبي ﷺ أمر عمر بن الخطاب ﷺ وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها ، فلم يدخلها النبي ﷺ إلا بعد أن محيت كل الصور[1]

وقد تناولت الأحاديث النبوية الشريفة مسألة صناعة واتخاذ التماثيل والتصاوير ، وقام الفقهاء بتبويبها إلى ما هو حرام ، وإلى ما هو حلال ، وإلى ما هو مكروه . وفيما يأتي الحديث عنها مع بيان أدلتها

المحرم من التماثيل والتصاوير :

أولاً :عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ[2]: (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير)

والصورة التي لا تدخل الملائكة البيت الذي هي فيه ما يحرم إقتناؤهُ ، وهو ما يكون من الصور التي فيها الروح مما لم يقطع رأسه أو لم يمتهن بالاستعمال كالوسائد وغيرها ، وسبب امتناع الملائكة من الدخول في البيوت كون الصور معصية فاحشة وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله .

ثانياً : عن عائشة رضي الله عنها قالت[3] : قدم رسول الله ﷺ من سفرٍ وقد سترت بقرامٍ لي على سهوة لي فيها تماثيل ، فلما رآها رسول الله ﷺ هتكهُ وقال (أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون خلق الله) قالت رضي الله عنها فجعلته وسادة أو وسادتين

والقرام الستر الرقيق ، والسهوة : هي شبيهة بالرف او بالطاق يوضع عليه الشيء ، والتماثيل هنا : أعم من أن تكون شاخصاً أو نقشاً أو دهاناً أو نسجاً في ثوب ، وقوله ﷺ : (يضاهون خلق الله) أي يشبهون ما يصنعون بما

---

1. الأزرقي : أخبار مكة ١٦٥/١ وما بعدها هامش (٥) من تعليقات المحقق رشدي ملحس على كتاب أخبار مكة .
2. صحيح مسلم بشرح النووي : ٨٦/١٤ رقم الحديث (٢١١٢) .
3. ابن حجر : فتح الباري ٣٨٦/١٠ رقم الحديث (٥٩٥٤) .

يصنعه الله تعالى ، وقولها : (هتكه) أي نزعه ، فقالت : فجعلته وسادتين بحيث انفصلت أجزاء الصورة التي كانت في القرام ولم تعد صورة كاملة فدل ذلك على جواز استعماله بعد تقطيعه

ثالثاً : عن أبي الحسن قال[١] : كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما إذ أتاه رجل فقال له : يا ابن عباس إني إنسان إنما معيشتي من صنعة يدي وأني أصنع هذه التصاوير ، فقال ابن عباس لا أحدثك إلا ما سمعت عن رسول الله ﷺ سمعته يقول : (من صوَّر صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً) .

في الحديث دليل على تحريم صناعة التماثيل وعجز من يصنعها عندما يكلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح فإنه لا يقدر على ذلك فيستمر عذابه لهذا السبب

المكروه من التماثيل والتصاوير:

أولاً : ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال[٢] : أتى النبي ﷺ فاطمة رضي الله عنها فلم يدخل عليها ، وجاء علي رضي الله عنه فذكرت له ذلك فذكرهُ للنبي ﷺ ، قال :(إني رأيت على بابها ستراً موشياً فقال : مالي وللدنيا ؟فأتاها علي رضي الله عنه فذكر لها ذلك ، فقالت : ليأمرني فيه بما يشاء ، قال : ترسلي به إلى فلان أهل بيت فيهم حاجة) .

يلاحظ في الحديث أن مناط نهي رسول الله ﷺ عن التصوير هو أنها تذكره بالدنيا لذلك قال ﷺ لفاطمة رضي الله عنها (مالي وللدنيا) دون أن يصدر حكماً تحريمياً عليه وكأنه كره وأهله الإستعجال في الطيبات لا أن ستر الباب حرام وهو نظير قوله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها لما سألته خادماً فقال لها : (ألا

---

[١]. ابن حجر : المصدر السابق ٤١٦/٤ رقم الحديث (٢٢٢٥) .

[٢]. ابن حجر : فتح الباري ٢٢٨/٥ رقم الحديث (٢٦١٣) .

أدلك على خير من ذلك ؟) فعلمها الذكر عند النوم . وأمره ﷺ لفاطمة رضي الله عنها بان ترسل الستر الموشى إلى فلان كونهم أصحاب حاجة دلَّ على عدم تحريمه .

__ثانياً :__عن أنس ﷺقال[1] : كان قرام لعائشة رضي الله عنها سترت به جانب بيتها فقال لها النبي ﷺ: (أميطي عني فإنه لا تزال تصاوير‍ه تعرض لي في صلاتي). يظهر من الحديث أن قرام عائشة كان فيه مجموعة من التصاوير وكان ممدداً إلى سهوة في بيتها وكان النبي ﷺيصلي إليها . والحديث يدخل في باب كراهة الصلاة في الثياب المصورة وقوله ﷺ: (أميطي) أي أزيلي القرام وهو الستر الرقيق لأنه كانت تعرض عليه التصاوير الموجودة فيه فتشغله عن صلاته لذلك أمر ﷺعائشة رضي الله عنهابإزالته ولم يصدر حكماً تحريمياً عليه

__ثالثاً :__ عن عائشة رضي الله عنهاقالت[2] : كان لنا ستر فيه تمثال طائر ، وكان الداخل إذا دخل استقبله فقال رسول الله ﷺ: (حولي هذا فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا).

والحديث لا يدل على الحرمة بل يدل على الكراهة لأنه لو كان حراماً لأمر بهتكه ولما أكتفى بمجرد تحويل وجهه عنه ، ثم ذكر ﷺأن علة تحويل وجهه هو تذكيره بالدنيا

__المباح من التماثيل والتصاوير:__

__أولاً :__عن أبي طلحة صاحب رسول الله ﷺقال : قال رسول الله ﷺ: (إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة) . قال يُسر : ثم اشتكى زيد بعد ، فعدناه ، فإذا على بابه ستر

---

[1]. ابن حجر : المصدر السابق ١٠/٣٩١ رقم الحديث (٥٩٥٩) .

[2]. صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/٨٠ رقم الحديث (٢٠١٧) .

فيه صورة قال : فقلت لعبيد الله الخولاني ربيب ميمونة زوج النبي ﷺ: ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول ؟ فقال عبيد الله : ألم تسمعه حين قال (إلا رقماً في ثوب)

الحديث يعتبر تحريم التصاوير إلا ما كان رقماً في ثوب فهو حلال ، وكل ثوب وشي فهو رقم وهذا احتج به من يقول ما كان رقماً مطلقاً ، ويرى النووي أن الإستثناء هنا محمول على ما إذا كان الرقم على صورة الشجر وغيره مما ليس بحيوان[١]

يقول الطحاوي[٢] : (إنما نهى الشارع أولاً عن الصور كلها وإن كانت رقماً ، لأنهم كانوا حديثي عهد بعبادة الصور فنهى عن ذلك جملةً ، ثم لما تقرر نهيه عن ذلك ، أباح ما كان رقماً في ثوب للضرورة إلى اتخاذ الثياب ، وأباح أيضاً ما يمتهن لأنه يأمن منه على الجاهل تعظيم ما يمتهن ، ويبقى النهي فيما لا يمتهن)

ثانياً :وفي الحديث عن الرجل الذي جاء إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وقال له إني أصنع التماثيل وأتكسب بها لأنها مصدر معيشتي وجواب ابن عباس له[٣] : (ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح) وفي الحديث دليل على جواز صناعة التصاوير والتماثيل مما ليس فيه روح كصناعة تماثيل للأشجار والأنهار والجبال وأية مناظر طبيعية أخرى لا روح فيها وما أكثر اللوحات التي يمكن للرسام أو المثال أن يرسمها أو يصنعها آخذاً من صور الكون التي عرضها القرآن الكريم دون حاجة إلى تصوير الإنسان أو الحيوان أو كل ذي روح مطلقاً

---

١. صحيح مسلم بشرح النووي ٧٩/١٤

٢. السيد سابق : فقه السنة ٥٠٣/٣ .

٣. ابن حجر : فتح الباري ٤١٦/٤ رقم الحديث (٢٢٢٥) .

ثالثاً : ما رواه الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت[1] : (كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي فكـان رسـول الله ﷺ إذا دخـل ينقمعن منه فيُسَرِّبهُن إلي فيلعبن معي) .

والحديث صريح وواضح في إباحة التماثيل والتصاوير إذا كانت من (لعب البنات) حتى لو كانت بذي روح لإنسان أو حيوان .

أسباب تحريم التماثيل والتصاوير :

أول الأسباب في تحريم التماثيل والتصاوير هو (المضاهاة) أي المشابهة لخلـق الله تعالى ، يدل عليه قوله ﷺ[2] :(إن الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم : أحيوا ما خلقتم)

وثاني الأسباب في تحريم التماثيل والتصاوير ، هو البعد عـن مظـاهر الوثنيـة ، وحماية العقيدة من الشرك ، وخاصة عبادة الأصنام ، فما وصلت الوثنية إلى الأمم الغابرة إلا عن هذا الطريق ، ويدل عليه حديث عائشـة رضي الله عنها قالت[3]: لما أشتكى النبي ﷺ ذكر بعض نسائه كنيسة يقال لهـا : (ماريـة) وكانت أم سلمة وأم حبيبة أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وما فيها مـن تصاوير ، فرفع رأسه ﷺ وقال : (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنـوا على قبره مسجداً ، ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار خلـق الله يـوم القيامة) .

---

1. القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٧٥/١٤
2. ابن حجر : فتح الباري : ٣٨٣/١٠ رقم الحديث (٤٩٥١) .
3. الصابوني : روائع البيان ٤٠٨/٢ والحديث متفق عليه .

حكم التصوير الفوتوغرافي :

قال الشيخ السايس[1] : (ولعلك تريد أن تعرف حكم ما يسمى بالتصوير الشمسي فنقول : يمكنك أن تقول أن حكمها حكم الرقم في الثوب وقد علمت استثناؤه نصاً ولك أن تقول : إن هذا ليس تصويراً بل حبساً للصورة وما مثله إلاّ كمثل الصورة في المرآة لا يمكنك أن تقول إن ما في المرآة صورة وإن أحداً صورها ... وما دام في الشريعة فسحة بإباحة هذه الصور كاستثناء الرقم في الثوب فلا معنى لتحريمها خصوصاً وقد ظهر أن الناس قد يكونون في أشد الحاجة إليها)

وقد عقب الشيخ الصابوني على ما ذكره الشيخ السايس فقال[2] :(ولأنه – يعني التصوير الفوتوغرافي – ليس تصويراً باليد وليس فيه مضاهاة لخلق الله تعالى إلا أنه لا يخرج عن كونه ضرباً من ضروب التصوير فينبغي أن يقتصر في الإباحة على حد الضرورة وما يتحقق به من المصلحة وقد يكون إلى جانبها مفسدة عظيمة كما هو حال معظم المجلات اليوم التي تنفث سمومها في شبابنا وقد تخصصت للفتنة والإغراء حيث تصور المرأة بشكل يندى له الجبين وبأوضاع وأشكال تفسد الدين والأخلاق) .

شبهات وردها :

وقد تثار شبهات كثيرة حول تحريم اتخاذ التماثيل والتصاوير ، منها : أن الوثنية قد انقضى زمانها بالتقدم الفكري والحضاري عند الإنسان ، فلم يعد هناك من يعبد الأصنام ، فلم إذن هذا التحريم ؟ والجواب على ذلك أن العقل البشري معرض للانتكاسات في كل زمان ومكان ، ولا يستبعد أبداً أن تعود الناس إلى سابق عهدها ، فتقوم بعبادة الأصنام ، وقد ثبت في الآيات الصحيحة أن من علامات الساعة العودة إلى عبادة الأصنام ، فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها

---

[1]. الشيخ السايس : تفسير آيات الأحكام ٦٣/٤

[2]. الصابوني : المصدر السابق ٤١٦/٢

قالت: سمعت رسول الله ﷺ[1] :(لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى) ثم أننا نشاهد في هذا العصر من يعبد البقر ويتبرك بأرواثها ، فكيف نطمئن على العقلية البشرية من التردي نحو الهاوية والعودة إلى عبادة الأصنام .

ويروي لنا ابن العربي بهذا الصدد حكاية هو شاهد عليها يقول[2] : (وقد شاهدت بثغر الإسكندرية إذا مات ميت صوروه من خشب بأحسن صورة ، وأجلسوه في موضعه من بيته ، وكسوه بزيه إن كان رجلاً ، وحليتها إن كانت إمرأة ، وأغلقوا الباب عليه فإذا أصاب أحدهم كرب أو تجدد له مكروه ، فتح الباب عليه وجلس عنده يبكي ويناجيه حتى يكسر سورة حزنه بإهراق دموعه ، ثم يغلق الباب عليه وينصرف، وإن تمادى بهم الزمن تعبدوها من جملة الأصنام .

ما يستفاد مما تقدم من أحكام :

١. الصور التي لها ظل وهي المصنوعة من الحجر والنحاس والخشب تسمى (تماثيل) أما التي ليس لها ظل ومرسومة على الورق أو منقوشة على الجدران أو على البسط والوسائد فهذه تسمى صور.
٢. تُحرم الصور التي لها ظل (التماثيل المجسمة) إذا كان لذي روح إنسان أو حيوان ، وكذلك تحرم الصور التي ليس لها ظل (غير المجسمة) المرسومة باليد لذي روح إنسان أو حيوان .
٣. يباح من التماثيل والصور ما ليس بذي روح كالأشجار والجبال والمياه وغيرها من مظاهر الطبيعة .
٤. إذا قطعت الصور سواء كانت مجسمة أو غير مجسمة وكانت ذات روح بحيث انفصلت أجزاؤها ولم تعد صورة كاملة فلا حرمة فيها
٥. كل صورة ليست متصلة الهيئة أي ليست صورة كاملة ، كصورة العين أو اليد أو القدم فإن كل ذلك لا يحرم .

---

[1]. صحيح مسلم بشرح النووي ٣٣/١٨ رقم الحديث (٢٩٠٧) .
[2]. ابن العربي : أحكام القرآن ٣٢٠/٣

٦. الصور التي تلهي المصلي عن صلاته أو تذكرهُ بالدنيا فإنها تدخل في باب الكراهة .

٧. رخص من التماثيل والتصاوير (لعب البنات) وإنما أبيحت للضرورة إلى ذلك وحاجة البنات في مثل هذا السن حتى يتدربن على تربية أولادهن .

صفوة القول :

أولاً :إنَّ شعور المثال أو النحات أو الرسام بالرغبة في تصوير كل ذي روح من إنسان أو حيوان ، هو مواجهة مع الله تعالى وتحدي لقدرته في الخلق ، لذلك صب الله تعالى غضبه عليهم .

ثانياً : أجمع العلماء كافة على حرمة صناعة التماثيل والتصاوير لذي روح سواء كانت ذات ظل أم لم تكن ، لأنها مضاهاة لخلق الله تعالى .

ثالثاً : يعد عبد الله بن عباس ﷺ أول من فتح الباب للمثالين والنحاتين والرسامين لصنع ونحت وتصوير كل ما ليس بذي روح ، وبذلك لم يمنع الإسلام الفنانين من الإستفادة من مواهبهم ضمن التعاليم الإسلامية

رابعاً : بإمكان الفنانين الإستفادة مما صورته الآيات القرآنية من نماذج للطبيعة ، وما أكثر اللوحات التي يمكن للفنان أن يرسمها ، فمناظر الأشجار والبحار والجبال والصحارى والسماء والنجوم والكواكب وغيرها كثير

الخاتمة

توصلنا في كتابنا هذا إلى جملة من الآراء يجدها القارئ مبثوثة في ثنايا الكتاب ، وفيما يأتي ملخصاً لأهمها

أولاً : الشرك بالله من أعظم الذنوب وأخطرها لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلوهية ، فمن أشرك بالله أحداً فقد شبهه به ، وفلسفة المشركين في عبادتهم للأصنام أنهم يزعمون أن عبادتها وسيلة وغايتهم منها التقرب إلى الله بواسطتها

ثانيا: للشرك أسبابه الكثيرة يأتي في مقدمتها الغلو بأهل العلم والصلاح ، والغلو هو الزيادة في رفع شخص ما فوق منزلته كالزيادة في حق الأنبياء والصالحين والأولياء ، ورفعهم عن قدرهم إلى رتبة الربوبية أو الإلوهية .

ثالثاً : تبين أن هناك صنفاً من المشركين لم ينكروا الله تعالى فهو عندهم خالق كل شيء وبيده كل شيء يؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾الزخرف: ٨٧. وهذا هو توحيد الربوبية لله تعالى عند هذا الصنف من المشركين

رابعاً : من أقر بتوحيد الربوبية لله تعالى لزمه أن يقر أنه لا يستحق العبادة بجميع أنواعها إلا الله تعالىوهذا هو توحيد الإلوهية فلباب توحيد الإلوهية أن يرى العبد أن الأمور كلها بيد الله ثم يقطع الإلتفات إلى الوسائط كالأصنام وغيرها

خامساً : يخرج عن توحيد الربوبية والإلوهية إتباع الهوى فمن اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده ، وإذا تأملنا في ذلك تبين لنا أن عابد الصنم لم يعبد الصنم لذاته وإنما عبد هواه ، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ، قال تعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾الفرقان: ٤٣.

سادساً : لوحظ أن هناك آراء متباينة في معنى الصنم والوثن والنصب ومرد ذلك يعود إلى اختلاف استعمال العرب لهذه الكلمات ، فلما وضع علماء اللغة

معانيها وقع لهم هذا التباين . على أنه يمكن الفصل في معانيها فنقول أن الصنم ما كان على صورة الإنسان أو الحيوان يصنع من الذهب أو الفضة أو النحاس أو الخشب ، أما الوثن فهو ما كان على صورة الإنسان أو الحيوان ينحت من الحجارة ، أما النصب فهو حجارة ليس لها ملامح معينة.

سابعاً : لم يتفق علماء اللغة والتفسير والحديث في تأويل معنى الجبت والطاغوت ، والذي يترجح لدينا أنِ الجبت والطاغوت رغم اختلاف معانيها اللغوية ، إلا أنها تتحد في معنى مشترك واحد هو أن كل منعدل عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ إلى سواهما من الباطل بأن عبد شيئاً غير الله تعالى كعبادة الأصنام وغيرها ، فهو قد تعامل مع الجبت والطاغوت ، وهكذا أصبحت العلاقة بين الجبت والطاغوت والأصنام علاقة متينة لا تنفك أحدهما عن الأخرى ، فهي علاقة جدلية تجتمع على معصية الله تعالى ورسوله ﷺ .

ثامناً : إتضح لنا أن الزمن الذي عبدت فيه الأصنام كان موغلاً في القدم وإن عبادة الأصنام كانت معروفة ومنتشرة قبل زمن نوح عليه السلام وقد أرجعها البعض إلى الفترة التي أعقبت وفاة آدم عليه السلام .

تاسعاً : كان يعتقد المشركون أن الأصنام التي كانوا يعبدونها تدافع عنهم كما يدافع سيد القبيلة عن أفراد قبيلته لذلك كانوا عند الحروب مع الأعداء يحملون أصنامهم معهم للتبرك بها وبث الحماس واستمداد العون والنصرة منها وإذا ما حلت الهزيمة بهم فإن كاهن القبيلة يبرر ذلك أن هزيمتهم جاءت عقوبة لهم بسبب ابتعادهم عن أوامره ولعدم إطاعتهم أحكام دينه .

عاشراً : كان للأنبياء الدور الكبير في مقارعة عبدة الأصنام وقد بذلوا الغالي والرخيص في ذلك وكان إبراهيم عليه السلام في طليعة الأنبياء الذين قدموا الدليل لعبدة الأصنام على أن أصنامهم التي قام بتحطيمها لا تنفع ولا تضر ولا تستطيع الدفاع عن نفسها وبذلك ألزمهم الحجة لكنهم لم يمتثلوا لأمره .

حادي عشر :كان لأهمية ومكانة الأصنام عند عبدتها من العرب قبل الإسلام ما استدعى ذكر بعضها في القرآن الكريم ، ولو لم تكن كذلك لما ذكرت في أغلى وأعز كتاب في الوجود فكان ذكر أخبار (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وبعل واللات والعزى ومناة) مبنياً على هذا الأساس .

ثاني عشر : الكعبة الشريفة أول بيت للناس وضع في الأرض لعبادة الله تعالى وظلت الكعبة عند أهل مكة وعند غيرهم من العرب معظمة رغم تحويلها من قبل المشركين إلى بيت لعبادة الأصنام من خلال نصب الأصنام في جوفها وما حولها فكان الصنم (هبل) الذي يعد من أضخم الأصنام وأهمها منصوباً في جوف الكعبة فضلاً عن نصب ثلاثمائة وستون صنماً حول الكعبة وما جاورها

ثالث عشر : لم يكتف عبدة الأصنامبنصب الأصنام هكذا في العراء بل بنوا لها بيوتاً مضاهاة للكعبة الشريفة وسميت ببيوت الأصنام أو معابد الأصنام والمشهور منها كعبة نجران وكعبة سنداد وبيت اللات وكعبة غطفان وبيت مناة وبيت الفَلْس وبيت بُس وبيت شمس وبيت ذي الخَلَصة (الكعبة اليمانية)وغير ذلك كثير

رابع عشر : لبيوت الأصنام والكعبات رجال أكفاء يديرونها يسمون (السدنة) جمع (سادن) والسادن هو خادم الكعبة وخادم بيت الصنم أو بيوت الأصنام ومهمتهم تولي شؤون بيوت الأصنام والمحافظة عليها وحمايتها من انتهاك حرمتها لذلك تعد السدانة من المنازل الدينية والإجتماعية الرفيعة عند المشركين

خامس عشر : ومن الخدمات التي تقدمها بيوت الأصنام والكعبات لعبدة الأصناموالزوار السقاية والغرض من ذلك ليس فقط تجهيزهم بالمياه لشربها بل للتطهير من الأوساخ أيضاً حتى تحل لزوار بيوت الأصنام إقامة الشعائر الدينية .

سادس عشر: والمذابح من الخدمات التي تقدمها بيوت الأصنام والكعبات لزوارها وهي أماكن ملحقة ببيوت الأصنام يقال للواحد منها (مذبح) أو (منحر) أو (نصب) الغرض منها ذبح القرابين عندها تقدمة للأصنام لترضى عنهم .

سابع عشر: والمحارق خدمة أخرى تقدمها بيوت الأصنام والكعبات لعبدة الأصنام وزوار بيوتها وتكون ملحقة ببيوت الأصنام والغاية من وجودها لتكون أماكن مخصصة لحرق القرابين التي تقدم للأصنام .

ثامن عشر: يؤدي المشركون العديد من الشعائر الدينية ويأتي في مقدمتها تقديم القرابين والنذور إلى بيوت الأصنام في المواسم وفي سائر الأيام والعتيرة والرجبية من الشعائر الجاهلية أيضاً وهي حيوانات أليفة كالشاة يسوقونها إلى النصب الخاص بالصنم أو الصنم نفسه لذبحها والهدف من ذلك التقرب إلى الأصنام ، وللبخور والطيب شأن كبير في إداء وإتمام الشعائر الدينية ولقد صرفت الأموال الطائلة لشراء العود وغيره لإحراقه لتطييببيوت الأصنام وملحقاتها ومن شعائرهم الدينية التي مارسوها والتي حرمها الإسلام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام .

تاسع عشر:للمشركين من عبدة الأصنام محجات كثيرة كانوا يحجون إليها ومن أشهرها بيت اللات وبيت مناة والكعبة اليمانية وكعبة نجران وغيرها كثير وكذلك كانوا يحجون إلى الكعبة الشريفة التي حولوها إلى بيت لعبادة الأصنام ورغم ذلك بقيت الكعبة الرمز الوحيد للتجمع العربي الديني قبل الإسلام ولو أن هذا التجمع كان تجمعاً في إطار من صور التعدد العقدي أو القبلي .

عشرون: تبين لنا أن صناعة التماثيل ونحتها في زمن سيدنا سليمان عليه السلام ووضعها في الاماكن المخصصة لها سواء كانت تماثيل لذي روح من إنسان أو حيوان ، إنما كان مباحاً ، وتخصيص التماثيل مع أخواتها من المحاريب والجفان والقدور يأتي من باب فضل الله تعالى وامتنانه على سليمان

عليه السلام وهذا هو دليل جوازها ولربما يأتي احتمال جوازها لإستحالة إرتكاس قوم سليمان عليه السلام من عبادتها

واحد وعشرون : أجمع علماء المسلمين كافة على حرمة صناعة التماثيل والتصاوير لكل ذي روح سواء كانت ذا ظل أم لم تكن لأنها مضاهاة لخلق الله تعالى ويعد ابن عباس رضي الله عنهما أول من فتح الباب للمثالين والرسامين والنحاتين لصنع ونحت تصوير كل ما ليس بذي روح وبذلك لم يمنع الإسلام الفنانين من الإستفادة من مواهبهم ضمن حدود التعاليم الإسلامية .

إثنان وعشرون : ومن المحصلة من كل ما تقدم ، تبين لنا أن مشركي العرب قبل الإسلام كانوا يحاولون الجمع بين الإيمان بالله تعالى وبين عبادتهم للأصنام، مما يوحي بأن إيمانهم بعبادة الأصنام لم يكن متمكناً منهم ولا مستغرقاً فيهم، بل هو اضطراب بعقيدتهم الدينية جرهم لعبادة الحجر رغم علمهم بأن الحجر هو مخلوق وليس بخالق .

المراجع والمصادر

فيما يأتي أسماءأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت في تأليف هذا الكتاب ، مع أسماء مؤلفيهاوسني وفاة بعضهم ، ويأتي في مقدمتها – القرآن الكريم – معجزة الله الخالدة.

١. **أحكام القرآن: لأبن العربي** (أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري ، ت ٥٢٤ هـ) تحقيق علي محمد البجاوي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٧٨ هـ – ١٩٥٨ م .

٢. **أخبار مكة :الأزرقي** (أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ، ت ٢٣٣ هـ) تحقيق رشدي صالح ملحس ، الطبعة الثالثة ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨٣م.

٣. **أساس البلاغة: الزمخشري** :(جار الله أبو القاسم محمد بن عمر ، ت ٥٣٨ هـ)تحقيق عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩ م.

٤. **الإصابة في تمييز الصحابة : لأبن حجر** (أحمد بن علي العسقلاني ت ٨٥٢ هـ) المكتبة التجارية الكبرى – مصر ، ١٣٥٨ هـ – ١٩٣٩ م .

٥. **الأصنام : الكلبي** (أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب ، ت ٢٠٤ هـ). تحقيق أحمد زكي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ،١٣٨٤ هـ – ١٩٦٥م .

٦. **الأعلاق النفيسة : لأبن رسته**(أبو علي أحمد بن عمر) طبعة ليدن / مطبعة بريل ١٨٩٣ م .

٧. **الأغاني : الأصفهاني** (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي ، ت ٣٥٦ هـ) . شرحه وكتب هوامشه عبد أ. علي مهنا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م) .

٨. **البداية والنهاية : ابن كثير** (عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر الدمشقي ، ت ٧٧٤ هـ ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

٩. **التعريفات : الجرجاني** (أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني ، ت ٨١٦ هـ) الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

١٠. **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء : الأصفهاني** (أبو عبد الله حمزة بن الحسن ، ت ٣٦٠ هـ) الطبعة الثالثة، منشورات مكتبة دار الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ .

١١. **تاريخ الأمم والملوك : الطبري**(أبو جعفر محمد بن جرير ، ت ٣١٠ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، بدون تاريخ .

١٢. **تاريخ اليمن القديم** : محمد عبد القادر بافقيه ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

١٣. **تاريخ الإسلام** : الدكتور حسن إبراهيم حسن ، الطبعة السابعة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

١٤. **تأريخ الأدب العربي** : الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦١م.

١٥. **التاريخ العام :اليعقوبي** : أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب ، ت ٣٩٢ هـ). تعليق محمد صادق بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦٤ م.

١٦. **تجربة التوحيد المفيد : المقريزي** (أحمد بن علي المصري الشافعي) ت ٨٤٥ هـ) . الطبعة الثانية ، دار عالم الفوائد للنشر ، السعودية ، ١٤٢٤ هـ.

١٧. **تفسير روح البيان : البُروسُوي**(الشيخ إسماعيل حقي ، ت ١١٣٧ هـ) اختصره الشيخ محمد علي الصابوني تحت عنوان (تنوير الأذهان) الطبعة الأولى ، الدار الوطنية ، بغداد ١٤٠٩ هـ - ١٩٩٠ م .

١٨. **تفسير آيات الأحكام** : الشيخ محمد علي السايس ، شركة محمد علي صـــبيح وأولاده بالأزهر ، مصر ، ١٣٧٢ هـــ - ١٩٥٣ م
١٩. **تفسير القرآن العظيم** ، المعروف بتفسير ابن كثير (عماد الدين أبـــو الفـــداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، ت ٧٧٤ هـــ) دار احيـــاء الكتـــب العربيـــة ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، مصر ، بدون تاريخ .
٢٠. **تفسيرالقرآن الحكيم** المعروف بتفسير المنار للشيخ محمد رشيدرضا ، الطبعة الرابعة، مكتبة القاهرة ، مصر ، ١٣٧٩ هـــ - ١٩٦٠ م.
٢١. **تفسير أبي السعود** :إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (القاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ، ت ٩٨٢ هـــ ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩ هـــ - ١٩٩٩ م
٢٢. **تكملة كتاب الأصنام: الدكتور أحمد زكي** ، طبع مع كتاب الأصـــنام للكلبـــي ، الدار القومية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـــ - ١٩٦٥ م
٢٣. **تهذيب سيرة ابن هشام** : عبد السلام هارون ، الطبعـــة الثانيـــة ، المؤسســـة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـــ - ١٩٦٤ م
٢٤. **تيسير التفسير للقرآن الكريم** : محمد بن يوســـف إطفـــيش ، وزارة التـــراث القومي والثقافة ، سلطنة عُمان ، ١٤٠٦ هـــ - ١٩٨٦ م .
٢٥. **الجامع لأحكام القرآن : القرطبي** (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، ت ٦٧١ هـــ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦٧م .
٢٦. **جوامع السيرة النبوية : ابن حزم** (أبو محمد علي بـــن محمـــد بـــن ســـعيد الاندلسي ت ٤٥٦ هـــ) الطبعة الثالثة ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٤ م .
٢٧. **حياة محمد ﷺ** : محمد حسين هيكل ، الطبعة الثالثة عشر ، مكتبـــة النهضـــة المصرية ، ١٩٦٨ م .
٢٨. **ديوان الأسود بن يعفر** : صنعه الدكتور نوري القيســـي ، المؤسســـة العامـــة للصحافة والطباعة ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٣٩٠ هـــ - ١٩٧٠ م

٢٩. **روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن** : **الشيخ محمد علي الصابوني**،مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت، بدون تاريخ .
٣٠. **الروض الأنف** : **السهيلي** (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ، ت ٥٨١هـ) مطبعة الجمالية ، القاهرة ، ١٩١٤ م .
٣١. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** : **الآلوسي** (شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ، ت ١٢٧٠ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
٣٢. **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين** : **النووي** (أبو زكريا يحي بن شرف الدمشقي ، ت ٦٧٦ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ .
٣٣. **زاد المعاد في هدي خير العباد** :**ابن القيم الجوزية** (أبو عبد الله محمد بن بكر بن أيوب الدمشقي ، ت ٧٥١ هـ) ، المطبعة المصرية ومكتبتها ، مصر ، ١٣٧٩ هـ .
٣٤. **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب** : **السويدي** (أبو الفوز محمد أمين البغدادي) دار الطباعة ، دار السلام ، بغداد ، ١٢٨٠ هـ .
٣٥. **سنن النسائي** : **النسائي** (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، ت ٣٠٣ هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٤ م
٣٦. **السيرة النبوية** : **ابن هشام** (أبو محمد عبد الله بن هشام بن أيوب الحميدي ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م.
٣٧. **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل** : **الخفاجي** (شهاب الدين أحمد المصري ، ت ١٠٦٩ هـ) الطبعة الأولى ،صححه وعلق عليه محمد عبد المنعم خفاجي ، المطبعة الأميرية ،القاهرة ، ١٩٥٢م .
٣٨. **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** : **القلقشندي** (أبو العباس أحمد بن علي ، ت ٨٢١ هـ) المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م

٣٩. **صحيح مسلم بشرح النووي : الإمام مسلم** (أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، ت ٢٦١ هـ)الطبعة الأولى ، مكتبة أبو بكر الصديق ، مصر ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
٤٠. **العقيدة في الله** : الدكتور عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس ، الأردن ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
٤١. **فتح الباري شرح صحيح البخاري : ابن حجر**(أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٥٨٢ هـ)تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .
٤٢. **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد** الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، ت ١٢٥٨ هـ ، مراجعة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الطبعة الأولى ، شركة القدس ، القاهرة ، ٢٠٠٦ م
٤٣. **فقه السنة : السيد سابق** ، الطبعة الشرعية السابعة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
٤٤. **في ظلال القرآن** : سيد قطب ، الطبعة السادسة ، بيروت ، بدون تاريخ .
٤٥. **قصص الأنبياء** : الشيخ عبد الوهاب النجار، الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .
٤٦. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : الزمخشري** (جار الله أبي القاسم محمود بن عمر ، ت ٥٤٨ هـ)الطبعة الثالثة ، دار الكتاب العربي ، بيروت، بدون تاريخ .
٤٧. **لسان العرب: ابن منظور** (أبو الفضل جلال الدين محمد بن مكرم ، ت٦٦٦ هـ) دار صادر ، بيروت ،١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
٤٨. **المحبر : محمد بن حبيب** (أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي ، ت ٢٤٥ هـ) مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م

٤٩. **مختار الصحاح : الرازي** (محمد بن أبي بكر ، ت ٦٦٦ هـ) مكتبة لبنان ، دائرة المعاجم ، بيروت ، ١٩٨٨ م .
٥٠. **مروج الذهب ومعادن الجوهر : المسعودي** (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، ت ٣٤٦ هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٣م.
٥١. **مسائل الجاهلية :** الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، شرح الدكتور الشيخ صالح الفوزان ، دار البصيرة ، مصر ، ٢٠٠٢ م
٥٢. **مصطلحات وأحاديث وروايات من عالم الشيطان : كيلان خضير العزاوي** ، الطبعة الأولى ، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع ، بغداد ، ٢٠١١ م .
٥٣. **معجم البلدان : ياقوت** (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي ، ت ٦٢٦ هـ) دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
٥٤. **معجم مقاييس اللغة : ابن فارس** (أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا ، ت ٣٩٥ هـ) الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
٥٥. **المعجم الوسيط** :إصدار مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، قام بإخراجه الدكتور إبراهيم أنيس ، الطبعة الثانية ،دار المعارف بمصر، ١٩٧٣ م.
٥٦. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .
٥٧. **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** : الدكتور جواد علي ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٨٠ م .
٥٨. **مكة المكرمة تاريخ ومعالم** :محمود محمد حمو ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٣٠ هـ .
٥٩. **الملل والنحل : الشهرستاني**(أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشافعي ، ت ٥٤٨ هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٦٠ م.

٦٠. **المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني** (أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب ، ت٥٠٢ هـ) تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .
٦١. **نهاية الأرب في فنون الأدب : النويري** (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م
٦٢. **اليمن ماضيها وحاضرها** : الدكتور أحمد فخري ، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة ، ١٩٥٧ م .

المحتويات


بحمد الله تم



المؤلف في سطور

الاسم : كيلان خضير عباس العزاوي .

محل وتاريخ الولادة : بغداد – ١٩٤٧

التحصيل العلمي : بكالوريوس شريعة وآداب – بغداد – ١٩٧١

دبلوم دراسات عليا ، دمشق – ١٩٧٦

شارك في العديد منالمؤتمرات والمجالس التنفيذية وفرق العمل داخل وخارج العراق .

دَرَّسَ في كلية البريد العربية والمعهد العالي للدراسات البريدية بدمشق للفترة ١٩٨٢ – ١٩٨٧

دَرَّسَ في المعهد العالي للإتصالات والبريد ببغداد .

عضو جمعيتي الشبان المسلمين والتربية الإسلامية ببغداد .

- نشرت له بعض المجلات والصحف العراقية والعربية العديد من المقالات الأدبية والتاريخية والإسلامية .

آثارهُ المطبوعة :

١. التاريخ العربي والحضارة الإسلامية.
٢. إبليس في المعتقدات الدينية .
٣. ساعة مع أشراط الساعة.
٤. نشأة الكون وخلق الإنسان .
٥. العالم غير المنظور.
٦. مصطلحات وأحاديث وروايات من عالم الشيطان
٧. السحر بين العقيدة والعلم .
٨. في صحبة الملائكة .
٩. وقفة مضيئة مع آي الذكر الحكيم .
١٠. خوارق العادات عند المسلمين .
١١. الأصنام والأنصاب والأوثان في القرآن الكريم .



الأصنام والأوثان والأنصاب في القرآن الكريم

إن ضعف الوازع الديني عند المسلمين اليوم دفعهم إلى الإنحراف والإنزلاق في مهاوي الردى ، يموجون في جاهلية جديدة هي أشد وطأةً وأكثر دماراً من الجاهلية الأولى ، ولم يعد الصنم هو المعبود الوحيد ، بل راحوا يعبدون كل ما يملي عليهم الشيطان ويزينه لهم .

إن هدفنا من هذا الكتاب ، هو بيان أن عباد الأصنام ، لا يعبدون الأصنام حقيقة أو لذاتها ، وإنما هم يعبدون الشيطان لأنهم اتبعوا الهوى ، وكل من اتبع هواه ، فقد اتبع الشيطان،وبالتالي فإن عبادته للصنم إنما هي عبادة للشيطان





yaserbook@yahoo.com